
ساحـة الإنتظار
شروق الهامي
قصص
P
كيان كورب
ار ليلى

ساحة انتظار

شروق إلهامي

الكتاب:

ساحة انتظار

المؤلف:

شروق إلهامي

رقم الإيداع:

20769 /2011

الترقيم الدولي:

978-977-6836-63-1

★★★

الغلاف:

أسامه علام

الإخراج الفني:

حسام سليمان

التصحيح اللغوي:

رزق عبد المنعم

★★★

التوزيع:

عبد الله شلبي

الإشراف العام:

محمد سامي

★★★

كيان كورب للنشر والتوزيع والطباعة

دار ليلى

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11

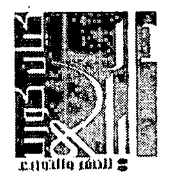
هاتف: 33370042 (02) (002) - 23885295 (012) (002)

البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

كيان كورب
للنشر والتوزيع والطباعة
دار ليلى

شروق إلهامي

ساحة انتظار



ألوان



اليوم كعادتي.. استيقظت مبكرا للذهاب إلى العمل.. نعم أسأمه ولم يكن هو مبلغ أحلامي لكن هل هناك بديل؟ كما أنني ما زلت يافعا ويوما ما سأجد ما أتمناه أو على الأقل شيئا لا أكرهه مثل هذا العمل المزري.

في أثناء غسيلي لوجهي نادرا ما أنظر للمرآة وهذا ليس لشيء سوى أنني لا أرغب أن أبدأ يومي بالنظر إلى وجه كئيب.. يكفي من يقابلونني بالطريق. لكن لشيء انتبهت له.. نظرت للمرآة لأول مرة منذ أسبوعين. وتأكد ما لاحظته.. لم أنم أمس مرتديا الـ"تي شيرت" الأحمر؟! من الذي أبدلني إياه بهذا الرمادي. كما أنني أكره هذا اللون ولا أشتري ملابس رمادية إلا للبنطلونات. لحظة.. إنها تلك الرسومات الموجودة على الـ"تي شيرت" الأحمر فقط.. إذا لم تحول للون الرمادي. مهلا لم أنا بهذا الشحوب.. لوني رمادي فاتح جدا.. يبدو أنني مريض.. لكن لا أشعر بشيء.. عيناي فقط هي ما فقدتا القدرة على رؤية الألوان. حتى في الحمام الذي أقف به.. لا يوجد شيء له أي ألوان سوى الأبيض والأسود وجميع درجات الرمادي.. لا بد أنني أهذي وهذا الهذيان قد

كلفني وقتا.. عليّ الذهاب للعمل بسرعة الآن.

في طريقي لم أرَ أي ألوان.. حمدت الله أن الأمر متوقف على الألوان فقط وليس الأرقام أيضا، فعملي معظمه يعتمد على الأرقام.. بينما يمكنني تجنب جزء الألوان بحجة ضعف في نظري.. وإن لم يختف فسأذهب لدكتور عيون غدا فيومي طويل اليوم والعمل ممتد للحادية عشرة.

كان العمل حقا جحيم اليوم.. فمن دون الألوان صرت كالأحمق بين زملائي وصرت محط سخريتهم طوال اليوم.. نعم في البداية تهربت من الإجابة عن الألوان.. لكن زميلي الخبيث قد لاحظ ذلك فظل يضايقني حتى اعترفت بضعف نظري اليوم وعجزي عن التمييز بين الألوان.. وأحمد الله أنهم توقفوا عند هذا الحد قبل أن أعترف أيضا بعجزي عن رؤية أي لون أساسا..

في المساء بعد الحادية عشرة ذهبت إلى المقهى كعادتي لأجلس قليلا مع أصدقائي وقد اعتزمت على ألا أتفوه بحرف عن موضوع الألوان هذا.. فقد اكتفيت سخرية إلى هذا الحد وجلست معهم نتسامر ونتكلم ونضحك قليلا حتى دخل اثنان إلى المقهى. لقد لفتا نظري بشدة.. ليس لأنني لا أعلمهما بل هما صديقاي أيضا، وأحدهما أخو واحد من مجموعتنا، لكن ما لفت نظري إليهما حقا ألوانهما.. نعم ألوانهما ربما لون ملابسهما ولون

بشرتهما باهت قليلا ولكنهم ملونين، قلت ربما عيناي قد بدأتا تتحسنان فنظرت لرواد المقهى وإلى أصدقائي وإلى ملابسي وذراعـي، لكننـا مـا زلنـا كما نحن.

* * *

هل تحولنا أبيض وأسود بينما هما لا؟ ربما هما باهتان لأنهمـا في مرحلة التحول؟ ماذا أقول؟! لسنا في فيلم خيال علمي نحن. لم أتمكن مـن حـبس خـواطري أكثـر فطلبـت أقـرب صـديق لـي في كلمـتين منفـردتين.. فاستغربني كل الجالسين.. استغربوا، لكـن لم يعلـق أحـد. وعلـى طاولـة وحدنا.. طلبت منه أن يتكتم على ما سأحكيه له فنطقـت عينـاه بالدهـشة وحين رأى تجهمي تحولت نظراته للجدية، وقال لي أن أتكلـم، فحكيـت له عن يومي كله وعن الألـوان وعـن صـديقينا المميـزين بألوانهمـا.. وحـين انتهيت ظل صامتا مسهما.. فسألته عن رأيه.. فظل علـى صمته ثـم فجـأة انفجر ضاحكا بصوت عال لفت كل الأنظار إلينا وظل يضحك حتـى دمعـت عيناه ولم يتمكن وسط موجة الضحك تلك أن يقول لي كلمة واحدة.

شعرت بالغضب حـين فهمـت مـن نظـرات مـن حولنـا أن ضـحكه وحده لا يعني سوى أنه يضحك علي.. ثم وجدت بقيـة الأصـدقاء عيـونهم

علينا منتظرين أن نجلس معهم ونشاركهم الأمر الذي خرج من إطار السرية بهذا الضحك الهيستيري، لذا تركت المقهى في غضب مبكرا عن عادتي وفي أثناء رحيلي سمعت صديقي الضاحك يقول بصوت عال متقطع: "اكشف نظر وألوان"، ثم يعود للضحك ثانيا على دعابته السمجة تلك.

وفي أثناء عودتي للمنزل قبل أن أصعد لطابقنا فاجأتني جارتنا.. وكانت تحمل غالبا طفلا ملفوفا ببطانية صغيرة وابتسمت لي وقالت إن ابنتها أنجبته منذ أسبوع وهم يعدون لطهوره، ثم قالت لي: أليس جميلا وقربته مني لكي أراه، لكن بمجرد أن رأيته صعقت وقفزت للخلف بعينين مذعورتين، وكان لموقفي التلقائي هذا أثر سيئ على جارتنا التي سألتني بغضب ودهشة: "ما بك؟"، فقلت مشدوها: "لا شيء"، واعتذرت لها بابتسامة مصطنعة واهنة، وقت لها: "ما شاء الله.. جميل.. ربنا يحفظه"، ثم تركتها وركضت للمنزل ثم لغرفتي وأغلقتها.. ماذا يحدث اليوم لي.. وما هذا الطفل المميز الملون.. نعم الطفل ذو ألوان شاهقة حادة سببت الألم لعيني اللتين لطوال اليوم لا تريان سوى الأبيض والأسود. عدا في المقهى وكانت الألوان باهتة. ظللت ألهث منفعلا وعقلي يعمل بقوة ليحاول الفهم لكن بلا جدوى.

دخلت أمي لتطمئن علي بعد أن رأتني أجري من باب المنزل

لغرفتي من دون سبب وكان القلق يطل من عينيها البنيتين.. الرماديتين مؤخرا.. فقلت لها: "اطمئني يا أمي.. لا شيء حدث".. ولكي أبدد قلقها حكيت لها موقفا لي وأنا صغير كلما تذكرناه ضحكنا.. وحينها ابتسمت.. وحينها فهمت.. حين عادت عيناها وبشرتها للونيهما أمام عيني. فهمت أنه على الرغم من ضحكنا في المقهى.. فإنه ضحك فارغ أجوف وليس من القلب ولو دمعت العيون.. فهمت أن عينيّ تجاهلتا العالم المادي ونظرتا للداخل فرأتا اللون الرمادي للاكتئاب الذي حل على الجميع.. وصديقاي الباهتان.. كانا لأنهما ما زالا في الطريق لتلك الحالة.. والطفل ناصع فقط لأنه لم يبدأ طريقه بعد.

حاجز ضخم



حين علمت بقدوم عريس لها انتابني الغضب.. أعلم أنها لن تكون أبدا لي، لكن لا أرغب أيضا أن تكون لغيري.

منذ صغري أحبها وهي تحبني وكلما ازداد العمر بنا كبر معنا حبنا وكلما أراها أخجل لكن لا أحب سوى لحظة الالتقاء حين تضمني في حضنها الذي لطالما أحببته فقد كان دافئا حنونا.. يوم وجدت أمي وأمها وجدتي يتحدثن عن هذا العريس لها اشتعل قلبي بداخلي، لكن لم أفصح ورغما عني ظهرت عدوانية خفية خفيفة للأمر ككل.. وقد لاحظت أمي ذلك وصمتت.

وفي اليوم المزعوم أتت لمنزلنا مبكرا وتناولنا الغداء كلنا معا، أنا وهي وأمي وإخوتي، ثم دعتها أمي للنوم قليلا قبل موعد هذا العريس، وحين نامت ظللت أرمقها وأدعو ألا يتم الأمر، فهي كالطير الحر الآن، لكن إن تزوجت بئست حياتها، فلم أرَ في كل المتزوجين من حولي، شاملين أهلي، من هو سعيد بزواجه.. إذًا أهلنا يسعون لقتل انطلاقها وحبها للحياة.

كـم هـي رقيقـة وبـسيطة ومرحـة.. وجمالهـا الهـادئ هـذا حقـا عجيب.. فحتى حين تعتاده تجده يومض بلمحة سحرية مـن حـين لآخـر ليثبت تميزه.

أحبها وتحبني، لكـن هنـاك حـاجز ضـخم بيننـا يمـنعني مـن أن أحارب الدنيا لأجلها. حاجز ضخم لن يمحـوه كونهـا ابنـة خـالتي وهـي الأقرب إلي من كل النساء.. حـاجز ضـخم يـذوب أمامـه تفاهمنـا وتعلقنـا ببعض لسنين وشعور المحبة الذي تضخه بلا حساب على كل من حولها.. حاجز ضخم يتلخص في يوم مولـدها الـذي سـبق وجـودي في الحيـاة بـ9 أعوام.

حب مدمر

فتحت الباب في صمت ثم دخلت لمنزلها في هدوء.. ظلت في مكانها للحظات متناسية ألم ذراعيها اللتين أرهقتا نتيجة حمل طفلتها من منزل أمها حتى منزلها. أنصتت بترقب لعلها تسمع ضحكة خليعة أو أي صوت صادر من غرفة النوم فلم تسمع شيئا ووجدت إضاءة تلك الغرفة مغلقة بينما ضوء غرفة مكتب زوجها هو المفتوح فتنفست الصعداء وتوجهت إليها ودخلتها ثم جلست على أول مقعد قابلها.

نظر إليها زوجها متوقعا أن تقول له أي شيء فلم تعره انتباهها، ووضعت طفلتها على الأريكة المجاورة ثم بدأت تعبث في حقيبتها وأطالت في ذلك حتى مل زوجها وعاد لقراءة أوراق عمله.

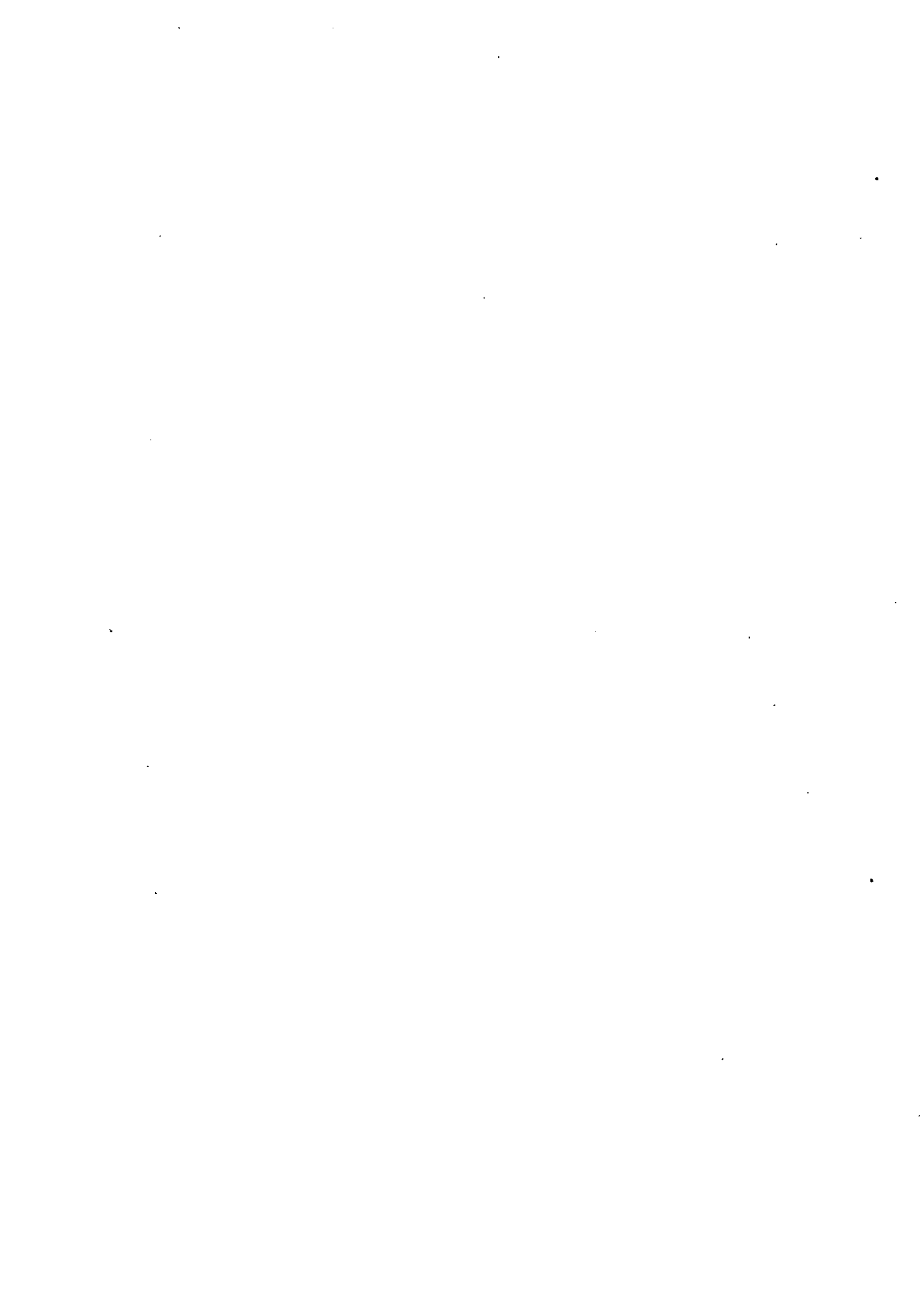
تدرك هي أن زوجها إن بدأ في قراءة أوراقه انسحب انتباهه عن كل ما حوله.. وهي كانت ترغب بذلك حتى تتأمله من دون أن ينتبه لعينيها.. كيف قبلت أن تدخل هذه المأساة برغبتها. ألأنها تحبه؟! كم هي تلعن هذا الحب أحادي الاتجاه. أظنت حين أتاها وحدثها عن الزواج أن حلمها أخيرا تحقق وأنه أخيرا شعر بها. كم كانت حمقاء. لماذا لا يشعر بفضلها عليه؟ لقد أنقذته من ضياعه وجعلت من بيتهم وبيته جنة ساعدته أن يتقدم في عمله وأن يستعيد توازنه ونجاحه. كان وقتها حطاما

نتج عن امرأتين.. حبيبة قديمة دفعت زواجا فاشلا للانهيار وزوجة قاسية سعت لتدمير زوجها وسمعته بعد الانفصال.. ثم كانت القاضية أن تتركه تلك الحبيبة في لحظة الانهيار بعد انفصاله عن زوجته الأولى.. هي لا تدري إن كان لتلك الفتاة عذر حقا أو أنها تتلاعب بزوجها ولا تجذبه إلا وقت أن يكون متاحا.

ها قد ألقت تلك الملعونة شباكها مرة أخرى واصطادت حبيبها من زوجته الثانية غير مبالية أنه قد أصبح أبا.. أبا.. إنه فعلا أب قبل أن تتزوجه.. أب لطفلة من زوجته الأولى.. وتلك العشيقة تلعب على تدمير زواجه الثاني.. المشكلة أنه لا يرى ذلك ولا يشعر بنعمة الحياة التي يحياها.. إنها تتوقع أي لحظة أن تعود لبيتها لتجد تلك العشيقة الأزلية قد أخذت مكانها.. ولا تشعر لوجودها هي وابنتها قيمة في حياته.. كيف تخيلت يوم أن تزوجته أنه يسعى للاستقرار. هو ليس رجلا سيئا.. بل كل ما فيه مميز.. نبله وأخلاقه وطيبته.. لكن عيبه الوحيد هو هذا الحب لتلك الشيطانة.. هذا الحب الذي يفقده صوابه ويجره جرا نحو هلاكه.. أحقا تستحق تلك الفتاة، أم أنه مبدأ الممنوع مرغوب المعتاد.. أم..؟

أفاقت من تساؤلاتها وحوارها الداخلي على صوت بكاء طفلتها ونظرة زوجها المحدقة المتسائلة عن سبب السهو فتجاهلت أن تجيب وابتسمت قائلة: مؤكد أنها جائعة.. سأطعمها وأنام.. تصبح على خير.

دراجة



كعادتي الأزلية كلما شعرت بالملل أو بالضيق أنزل إلى الشارع بدراجتي وأقودها على كورنيش النيل حتى يصفو بالي أو يشتد بي الإرهاق.. أيهما أسرع.

لكن هذا اليوم على الرغم من ألم ساقي لم أعد إلى منزلي كالمعتاد ولم يكن سبب هذا التغيير سوى.. هي.

لم أرَ وجهها، لكنها لفتت نظري بوحدتها وهي تجلس على السور الممتد بمحاذاة النيل وحدها في تلك الساعة المتأخرة من الليل.. وجلستها تلك ليست لجذب الرجال كما يظن البعض لكنها لمخاطبة النيل.. نعم لمخاطبته فقد جلست مولية ظهرها للطريق بكل صخبه وسياراته وأناسه.. وأطلت على النيل وحدها بلا حركة أو صوت.. لا أدري بلا صوت حقا أم بصوت! فقد كنت بعيدا عن أن أسمعها.. ظللت أقود دراجتي في الطريق ذهابا وإيابا منتظرا أن تقوم من جلستها تلك لعلي يسعدني الحظ وأرى وجه تلك الجريئة التي عاندت العادات والعرف وأتت لتجلس مع النيل وحدها غير مبالية بتأخر الوقت أو نظرات الناس

وتعليقاتهم.

مر أكثر من نصف ساعة ولم تتحرك هي.. وقد تعبت أنا أيضا.. لذا وقفت أستريح وقد قلت لنفسي يكفيني عشر دقائق فإن لم تقم فسأعود لمنزلي وأنسى أمرها. لكن لا أدري أهذا لحسن حظي أم أنها الصدفة أو القدر الذي جعلها تقوم بعد دقائق معدودات.. لتعبر الطريق الرئيسي وتدخل الطريق الجانبي الذي أقف فيه. وقتها قدت دراجتي في سرعة بجانبها وأظن أنها قد لاحظتني ثم عدت بشكل معاكس مواجه، لكن تلك المرة وضعت عيني بعينيها لأتأكد من أنها رأتني، ولغرابة الموقف وجدتها تبادلني النظر كأنها تدري أنني أقصدها هي لذا في أثناء مروري بجانبها قلت بسرعة وبصوت مرتفع كلمة لطيفة كانت السبب في ابتسامة خجول ارتسمت على شفتيها. قدت بسرعة مجددا لأدور وأعود مرة أخرى إليها، فالطريق الذي نحن فيه طويل ويمكن أن أكرر مروري بجانبها عدة مرات طالما أنني أقود دراجتي بسرعة.. ثم أبطأت حركتي لأطيل من مده بقائي بجانبها، لكن تلك المرة قبل أن أصل لها وجدتها تفتح سيارة وتضع حقيبتها بها.. وبمجرد مروري بجانبها.. استوقفتني..

- لو سمحت.

فاجأني توجيه الكلام لي فأوقفت الدراجة المسرعة بقوة مع محاولة حمقاء مني بألا أسقط بها أمامها لهذا الإيقاف المباغت.

* * *

- نعم.

- ابتسمت وقالت:

ممكن أطلب طلبا؟

وأمام تلك الابتسامة المشرقة ابتسمت وقلت:

- أكيد.

- ممكن أن آخذ دراجتك لدقائق؟

فاجأني طلبها.. ما كل تلك المفاجآت.. ارتبكت ثواني وقلت:

- حقا؟

- أرغب في قيادتها لآخر الشارع ثم أعود وأعطيها لك.

تلعثمت وتركت الدراجة ثم قلت لها بابتسام:

ولكن دعيني آخذ محفظتي منها حتى إذا لم تعودي لا أفقد أوراقي.

فابتسمت وقالت:

لا تقلق.

وأغلقت سيارتها وظننت أنها ستعطينني مفتاح السيارة كأمانة حتى تعود، لكنها وضعته بجيبها فلم أتكلم وأعطيتها الدراجة وظللت أشاهدها وهي تميلها بشدة لارتفاعها لتتمكن من أن تعتليها.. وحين جلست فوقها.. ابتسمت مجددا وقالت:

لا تقلق.

ثم تحركت بقوة وسرعة لم أتوقعها وملأ الهواء ملابسها الفضفاضة وطار خلفها الجزء الخلفي من طرحتها لاندفاعها، وكانت كالسهم المنطلق لبعيد حتى توارت عن أنظاري. مرت دقائق وأنا أستند على سيارتها ولا أراها والهواجس قد لعبت برأسي بعنف ككرة قدم في مباراة مراهقين.. وبدأت أفترض أسوأ الظنون.. ماذا سأفعل لو لم تعد؟ كيف سأواجه أبي وكيف سيكون موقفي حين أقول إنني أعطيت دراجتي لفتاة بموافقتي لكي تأخذها.. وكم سيضحك إخوتي على سذاجتي و.. ظهرت منطلقة على الجهة الأخرى من الطريق ثم توقفت عندي بحرفية من يقود الدراجات لسنوات وشكرتني بشدة والذهول والدهشة والانبهار

جعلت مني أحمق كبيرا عاجزا عن تكوين جمل من الكلمات التي أحاول بها أن أتجاوب مع تلك الغامضة الباسمة.. تحدثنا قليلا أو تحدثت هي قليلا عن نفسها بلا خجل.. وقالت إنها تأتي هنا حين تشعر أنها على غير ما يرام، سألتني عن نفسي، فأجبتها بتلعثم أظن أنها لم تفهم منه شيئا لكن شيئا في عينيها دل على التفهم في بساطة، ثم أوقفت حوارنا الغريب ذلك، وقالت إنها قد تأخرت كثيرا.. وشكرتني مجددا بحرارة.. وابتسمت.. وركبت سيارتها ورحلت وأنا في مكاني أرمقها في ذهول وصمت.



رسائل صامتة

جلسا متجاورين.. نظرا لبعض وابتسما.. هو في سعادة وهي بعينين حزينتين على الرغم من الابتسامة.. وفي هدوء امتدت يده لتلامس ظهر يدها فارتجفت يدها.. لكن سرعان ما تداركت خطأها فاحتضنت كفه في سرعة قبل أن يبدي أي رد فعل سلبي نتيجة لتلك الارتجافة. تعانقت أصابعهما في هدوء فقامت هي بترك رأسها يستريح على كتفه محاولة منها في إخفاء تعبيرات وجهها عنه. وكان رده على تلك الحركة هو أن اشتدت قبضة يده على كفها بشكل قوي لكن غير موجع ليدها النائمة المستكينة في يده، وسرعان ما استجابت هي واشتدت قبضتها على يده على الرغم من أن كفها أصغر من كفه فاتحدتا الكفان بقوة. كانت يده تحتضن يدها في شوق وسعادة بينما يدها تحتضن يده في حزن ولوعة. كان يدرك أن هناك نهاية آتية.. وكانت تعرف أن النهاية قد أتت. كانت يده تبث مشاعر الفرحة للقاء والشوق والحنين.. ويدها تبث مشاعر الحزن للوداع واللوعة والأنين.. اختلفت الأحاسيس فاختلطت رسائلها الصامتة وذابت الكفان في عناق حزين.. وهما جالسان متجاوران.



زنان



لم أحـرك قـدمي بـل تركـت جـسدي الـذي لا أتـبين حـدوده الآن (لالتحامه بأجساد أخرى بلا حدود واضحة أيضا) أن يـدخل تلـك العربـة التعيسة الـتي أصبحت بـلا رغبـة منهـا علبـة سـردين مكتظـة بكيانـات مختلفة الأحجام والأشكال والألوان.

لم تعرف بعد عما أتحدث؟ ببساطة دخلت مترو الأنفاق في محطـة رمسيس.. ثوان وبدأت الكيانات المجمعة تنفصل عن بعضها لأتبين حدود جسدي وأشكالا أقصد أحجام الناس كلا على حدة.

وقفت مستندة على الباب الذي قليلا ما يفتح.. في العربة المخصصة للنساء وبدأت أتأمل من حولي من نساء بعيون خبيثة متوارية.. في نظرات خفيفة متقطعة متفرقة.. حتى لا ينتبه أحد لفضولها غير المحبب. كنـت أتأمل أحيانا لفات الطُّـرح وأحيانـا أخـرى تـسريحات الـشعر.. والماكيـاج أيـضا.. وقلـيلا مـا أتأمـل الملابـس خـصوصا حينمـا تتميـز بـالاختلاف أو الجمال.

لم أنتبه قط لذوات العباءات والسيدات ما فوق سن الـ40.. فـدوما

ما كنت أتأمل الشابات والمراهقات.. لكن أرجوك لا تفترض بي سوء النية لكن فأنا أتأمل الفتيات للتعرف على خطوط الموضة وأذواق الناس دون الالتفات لأجسادهن أو غير ذلك.

في هذا اليوم لأول مرة أتأمل بشكل واضح امرأة كبيرة السن وذلك ليس لتميزها فهي لم تختلف عمن سواها من حيث العباءة السوداء أو الطرحة الكحلية الكبيرة. لكن ما جعلني أنتبه لها هي طريقتها الفجة في تأمل من تجلس أمامها من دون حرج.. وكانت الأخرى تجلس في هدوء أمامها مرتدية تنورة متوسطة الحجم سوداء تغطي لما تحت ركبتها ومعها قميص حريري وردي اللون بنصف أكمام ذو كسرات على صدره ومفتوح قليلا تحت رقبتها لكن لا يظهر شيئا من جسدها فقد كانت تلبس تحته بلوزة سوداء من دون أكمام تظهر بوضوح بسبب لونها الداكن تحت القميص فاتح اللون. لم أرَ الفتاة فأنا أعتبر أقف خلفها ولا يميزها شيء من الخلق سوى شعرها الناعم المعقوص فوق رأسها بشكل هادئ.

كانت المرأة الأولى تتأملها بشكل فج حيث تحدق في شعرها حينا وفي ساقيها حينا وتقف كثيرا على منطقة الصدر التي كنت أظن أنها مغطاة لكن نظرات المرأة المتكررة دفعتني لأفترض العكس على الرغم من وجود البلوزة السوداء.. ونظرا لفضولي السحيق تركت مكاني المميز لأقف

بجانبهن بحيث يمكنني رؤيتهن بوضوح ودون أن ألفت نظرهن. ومن مكاني هذا تبين ما يلفت نظر المرأة ذات العباءة لصدر الأخرى بشكل محرج.

* * *

إنها مجرد سلسلة ذهبية يتعلق بها صليب ذهبي يتدلى بوضوح من رقبتها فوق البلوزة السوداء تحت فتحة القميص.. نظرت لوجه الفتاة فلم أجدها فتاة بل كانت امرأة أظن فوق الثلاثين لكنها على الرغم من إرهاق ملامحها نظرا للسن فإنها في غاية الأناقة. كانت شاردة تنظر للنافذة فلم تنتبه للنظرات الفجة لكن بعد أن تكرر الأمر انتبهت فنظرت في عين الأخرى بتساؤل لكن حين رأت أن الأخرى عيناها وقحة تحولت النظرة لغضب.

سحبت المرأة ذات العباءة عينيها ونقلتها لحقيبتها تعبث فيها عن أمر ما ثم أخرجت تليفونها المحمول وظلت تقلب فيه قليلا ثم سمعنا جميعا صوت أغنية دينية ما من تلك الأغاني التي انتشرت مؤخرا.

شعرت وقتها بأن تلك المرأة تتعامل بعنصرية ما لذا قررت أن آخذ خطوة إيجابية وأن أعود لمكاني الأول وأحدق في تلك الجاهلة حضاريا

بنظرات غاضبة من سلوكها. فالموقف حتى الآن لم تقل فيه كلمة واحدة.. لكن قبل أن أتحرك خطوة أوقفني مكاني بذهول أن سمعت من تليفون الأخرى صوت أنشودة تغني للمسيح.. نظرت للمرأة المسيحية فوجدتها ترفع صوت جهازها المحمول وكانت تلك الحركة إعلانا لحرب ما فكانت المرأتان تنظران شذرا لبعضهما من دون كلمات، وكل منهما تمسك محمولها وتقلب فيه بين الأغاني والأناشيد والقرآن والتراتيل بشكل يجذب الانتباه، وكانت المسلمة تعبث في طرحتها والمسيحية تعبث في السلسلة وتبرز الصليب والكل من حولهما يترقب كيف ستنتهي المشادة الصامتة تلك.

في هذا الوقت وقف المترو في محطة مزدحمة نوعا ما، وفي أثناء تدافع النساء للدخول وتأمل الواقفات لهذه المباراة ارتفعت صيحة امرأة عجوز ذات طرحة سوداء تعثرت في الباب ووقعت بشدة على الأرض.. فكانت مفاجأة غير متوقعة للقريبات منها المنتبهات لأمر آخر تماما فتوجهن للنظر لها بينما كانت الأسرع رد فعل فتاة في منتصف العشرينات ترتدي بنطالا أبيض وبلوزة واسعة زرقاء مع طرحة بيضاء بدوائر زرقاء.. تقدمت للعجوز بسرعة وأسندتها حتى وقفت وقالت: سلامتك يا حاجة.. فابتسمت العجوز وقالت: بس أنا مسيحية يا ابنتي..

فردت الفتاة بابتسامة مماثلة قائلة: ما احنا هنحرر فلسطين ونحج فيهـا أنا وأنتِ.

انتكست كـل الوجـوه ونظـرت لـلأرض بعـد أن تـبين لكـل مـنهن سلوكها السلبي في كل من الموقفين وقامت كل من المـرأة المـسلمة والمـسيحية محل النزاع السابق لتتواريا عن العيون في الجهـة الأخرى من العربة.



ساحة انتظار



في هذا الطريق الجانبي الضيق الذي اعتدت أن أترك به سيارتي كساحة انتظار لها اعتدت أن أسير لدقائق من يومي. لم أكن لأدخل هذا الشارع يوما لأي سبب.. لكن عدم وجود ساحة انتظار كان سببا لدخوله وجعله المكان الدائم لترك السيارة به.

كلما بكّرت أتيح لي وقت أطول بدقائق لتأمل مفرداته.. فعلى جانبه الأيسر سور طويل حتى أول مبنى به.. في هذا السور باب صغير عرفت فيما بعد أن هذا الباب لمصنع، كما يقول صاحبه ويجب أن لا أترك السيارة أمامه لأن هناك سيارة تأتي لتأخذ منه الأشياء – ولا أعرف ما هي تلك الأشياء – من أمام الباب.

على الناحية الأخرى أو الجهة اليمنى من الطريق هناك مقهى صغير حجما وقليل من يقصدونه.. ويعتاد هذا المقهى وضع مقاعده على الجهة الأخرى من الطريق حين لا تكون هناك سيارات واقفة.. بعده هناك محل صغير لقص شعر الرجال.. ودوما هو مزدحم أو يوجد به أكثر من زبونين.. وهذا يعتبر ازدحاما نظرا لحجمه.. ثم هناك مسجد يشغل الطابق الأول من مبنى به ثلاثة طوابق ككل المباني هناك وتمتد المباني

الحاضنة لسكانها على جانبي الشارع لآخره.. الشارع ليس قصيرا ولا طويلا، لكنه ضيق لا يسمح بأن يمر به سوى سيارتين متقابلتين وبما أن الجهة اليسرى مشغولة بالسيارات الواقفة - من ضمنها سيارتي - لذا فالشارع ضيق على ضيقه. وهناك أيضا على بعد خطوات محل للمخبوزات ملحق به مخبز تفوح منه أشهى الروائح.

هذا مجمل ما رأيته على مدار عامين حتى توقفت عن الذهاب إلى هناك نهائيا.. لكن لن أنسى أبدا يوما كنت هناك أسير في سرعة لتأخري.. بعد أن تركت السيارة.. فجأة دون انتباه وجدتني أفقد توازني وأسقط بشكل مضحك ومؤلم في الوقت ذاته.. استغرقت ثواني وأنا ممدة على وجهي في الشارع حتى أتتني القوة لأن أقوم مجددا وحين وقفت لعنت تلقائيا تفكيري الذي دفعني لأن أرتدي ملابسي معظمها أسود في هذا اليوم فقد جذبت لي أحداثا سوداء وتلونت هي بلون التراب.

شرعت أزيل هذا التراب في خبطات خفيفة على ملابسي بعد أن وقفت على جانب الطريق متجاهلة نظرات الإشفاق والتشفي من عيون السائرين والواقفين ومتجاهلة أيضا تأخري. فلن أذهب لأي مكان بهذا الشكل وإن لم يزل التراب سأعد لمنزلي.

* * *

وفي أثناء قيامي بذلك انتبهت إلى صوت سعال خفيف.. قريب مني بشكل مبالغ فنظرت جانبي فوجدت امرأة رثة الثياب قذرة الهيئة شعثاء الشعر تجلس بجانبي.. وقد سبب التراب الذي أزيله عني سعالها فشعرت بالخجل من نفسي واعتذرت لها بشدة ثم مددت يدي بالحقيبة لأخرج بعض المال وأعطيها إياه بعد هذا الموقف المحرج. لكن بمجرد قولي ذلك، نظرت هي إلي في دهشة.. التي انتقلت بدورها إلى إحساسي بسرعة حين نظرت إليها.. تلك المرأة ليست سوى فتاة في العشرين من عمرها جميلة الملامح على الرغم من اتساخها.. ذات عينين فيروزيتين رائعتين بشكل لا يصدق.

لم أصدق أن تلك الملامح والعينين لمتسولة أبدا.. وفجأة امتلأ رأسي بملايين الأسئلة حول تلك الحسناء المتسولة.. رغبت أن أسألها عن أصلها وأين تسكن ولم تتسول وهي بهذا الجمال.. فيمكنها بشبابها وصغر سنها أن تعمل في أي مكان ومع جمالها هذا في كل مكان. وعلى أسوأ الظروف فالبغاء أفضل كثيرا من التسول لكثير من النساء. ثم إذا كانت شريفة ألا تخشى من ذئاب الشوارع البشرية الذين يتربصون للفتيات من دون تفريق ليلا ونهارا وإذا كانت.. قاطعتني هي قائلة: "عاكي شلن أجيب كحكة" صدمني كلامها وأجاب عن تساؤلاتي كلها بشكل موحد وسريع. تلك

الحسناء رائعة الجمال.. ضعيفة عقليا.. لسبب من الأسباب أشفقت عليها بعد أن كنت أحسدها منذ دقائق على جمالها المهدور.. ولم أستبعد أن تكون أنوثتها أهينت وبراءتها قد ولت منذ زمن مع حياتها في الشارع لكن لا شيء بيدي لأفعله سوى إخراج قدر أكبر من المال وإعطائها إياه ثم رحلت في أسف.

وبعد خطوات قليلة شممت رائحة مخبوزات المخبز الطازجة والشهية فرعدت في أذني كلمة "كحكة" وعرفت لما يسيل لعاب تلك الفتاة ولماذا تخيرت هذا المكان. فذهبت إلى صاحب المخبز ولحسن حظي وجدته رجلا كبيرا تظهر هيئته الصلاح فأعطيت له ورقة بمائة جنيه.. فنظر إليَّ متسائلا عما أرغبه، فقلت له في رجاء: "أعطِ تلك الفتاة صباحا ومساء شيئا من أشهى مخبوزاتك حتى تنتهي قيمة الورقة التي أعطيتها لك"، ثم تركته في حيرته وأنا أدعو الله أن يحقق هذا الرجل ما طلبته منه وأن يدل الفتاة على من يصونها ويطعمها قبل أن تنفد ورقة المائة جنيه.

شرود



نظر حوله ليتأكد من إمكانية عبور الطريق من دون أن يدهس تحت عجلات السيارات المتسارعة.. ثم تأهب للحظات.. ونزل عن الرصيف وفي تلك اللحظة لاحظ خروجها من المحل المقابل له على الجهة الأخرى من الطريق فذهل وثبت في مكانه صامتا.. لكن لم تتركه السيارات المسرعة لذهوله طويلا بعد أن ضغط سائق إحدى السيارات بقوة على المكابح ليتفادى أن يصطدم بهذا الشارد.

نظر إلى سائق السيارة بعينين خاويتين فوجده يتحدث بغضب ثم يتحرك بالسيارة في غيظ.. لكن كل ذلك في صمت.. وكأن أحدا ما ضغط على زر صامت في جهاز تحكم عن بعد بمكان ما فقطع الصوت عن هذا الجزء من العالم وجعله صامتا.. عاد بهدوء إلى الرصيف وقد فقد تركيزه وإدراكه للموجودات من حوله.. حتى وجودها هي التي سببت تلك الفوضى.

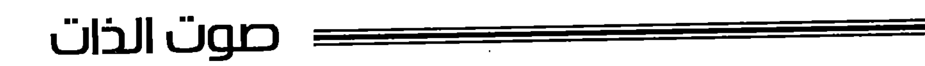
مرت دقيقتان وهو واقف على الرصيف محاولا تمالك أطراف أعصابه والتحكم بها مما أثار تساؤل المارة عن هذا الذي أهدر عدة فرص لعبور الطريق السريع وظل متشبثا بوقوفه على الرصيف.. وبالطبع كانت هي قد رحلت دون أن تلاحظه بأي شكل مما جعله يدرك مؤخرا أنها كانت مشغولة الفكر حتى لا تلاحظ السيارة المسرعة التي توقفت فجأة ولا أمطار سباب سائقها التي تلقاها

بسببها.. وفي أول فرصة سنحت لـه للعبـور ركـض لاهثـا للجانـب الآخـر مـن الطريق قبل أن تأتي أي سيارة مسرعة أخرى.

دخل شارعا جانبيا ثم ركب سيارته وأغلق بابها ولكنه لم يتحرك بها.. فقط استرخى في المقعد وأغمض عينيه وأخذ شهيقا عميقا كأنـه وجـد في سيارته المأوى بعد يوم عصيب وحين فتح عينيه وقع نظره علـى المحـل الذي خرجت منه فتذكرها وتذكر ما مر به من دقائق.

وتنهد وتساءل في حيرة: "لِمَ كل ذلك؟ لقد انتهى أمـره معهـا مـن زمن. لم أثارته رؤيتها مجددا بهذا الشكل؟".

لقد مرت أعوام منذ آخر لقاء لهما.. ولم يدر عن أمرهـا شـيء منـذ 3 أعوام حين زجر ذاته لقيامه بالبحث عن مـستجداتها مـن حـين لآخـر والتأكد من أنها لم تتزوج بعد.. لم يتمكن من قبـول أن تكـون لغـيره علـى الرغم من إيقانه أنه لن يتزوجها. كم هو أنـاني وهـو يـدرك ذلـك. هـي لا تدري عنه شيئا.. ولا تدري أنه تقدم في عمله.. وغير سكنه.. وأنه ما زال يحبها علـى الـرغم مـن مـشاجراتهم في الفـترة الأخـيرة.. وأنـه.. في تلـك اللحظة انتشله جرس هاتفه المحمـول مـن أفكـاره فبحـث عنـه لثـوان في جيوب سترته ثم رد على الهاتف وابتسم حين سمع صوت المتـصل وقـال: حاضر سآتي حالا يا ابنتي.



صوت الذات



أحب الآخرين.. وباعتراف الكثير فأنا أضيف لمسة مميزة في كل جمع أجلس فيه.. شخصيتي قيادية ولكني لا أفرض نفسي وأحب كثيرا الاختلاء بذاتي حتى مؤخرا.. حين ارتفع هذا الصوت.. صوت الذات.

إنه ليس صوت الضمير أو شيطان موسوس بل إنه الاثنان معا.. كنفسي التائهة بين الفضيلة والرذيلة.. هذا الصوت يدفعني للخطأ حينا ويلومني أيضا ويردعني حينا آخر هو أحمق مثلي فلا الحكمة من طباعه أو الفساد في دمه.

وحين ارتفع صار مزعجا ومربكا ومشوشا على جميع مفردات حياتي.

فحين أخاطب أحدا أجده يبدأ في تحليل ما يقال ثم يصرخ حينا "من تحدثه كاذب.. اتركه وارحل فهو لا يستحق انتباهك"، فأشرد عما يقال أمامي وأنتبه للحديث الداخلي لإسكات هذا المزعج بلا فائدة.

لقد حول علاقاتي ومعارفي وأصدقائي وأهلي إلى حالات دراسة وأصبحوا هم ضحايا أو مدانين، لذا قررت أن أهرب منه، لكن هروبي هذا

حولني لشخص آخر.. شخص ثرثار مرتفع الصوت يعشق الصخب والصوت المرتفع.. هرب من حولي الجميع وما تبقى سوى بضعة أصدقاء أوفياء أشفقوا على حالي وظلوا معي يحاولون إعادتي لصوابي ولشخصي القديم.. آه لو يعرفون هذا الثرثار الداخلي ماذا يقول عنهم.. مؤكد سيكرهونني.. فقد حولهم من بشر قد يخطئ أو يصيب إلى شياطين.. وما فيهم شخص مسكين.

ظللت على هذا الحال شهرين جعلت فيهما الصخب وصوت الموسيقى المرتفع صديقيَّ.

حتى أتى يوم وجدت أصدقائي يتحدثون بلا صوت والحزن يملأ أعينهم فلم أفهم حتى ارتفع صوت الذات مرة أخرى لكن بشكل مضخم يأتيني من كل الجهات.. وكان يضحك ضحكة خبيثة ثم قال: هربت مني بالناس والصخب فلم ينفعك الناس. وأعادك إلى الصمم.

عجوز في العشرين

بعينين فارغتين وقفت أمام المرأة أتأمل نفسي.. ظللت أحملق دون أن أعي أو أدرك أي شيء لمدة دقائق.. ولم يخرجني من حالة اللاوعي تلك إلا دمعة متمردة سقطت عنوة في غير وقتها أو موقفها رغما عني.

من أكون؟ سألت نفسي مرارا وتكرارا ولم أستطع الإجابة لكن فجأة ومن دون وعي مني نطقت شفاهي "سارة" وبمجرد أن سمعت أذناي اسمي ظهرت على وجهي ابتسامة سخرية تلقائية أحزنتني.. وبدأ الحوار بيني وبين نفسي التي توقفت منذ زمن عن مخاطبتها ولم أكن لأفكر في مخاطبتها مجددا لولا الصدمة التي صدمتني بها أعز صديقاتي. صدمتني بأشياء كنت أخشى أن أعترف لنفسي بها.. بدأت نفسي الحوار معي بشكل هجومي وأنا كالفأر في المصيدة أمامها.

– ومن سارة تلك؟

– سارة هي أنا.

– كفى سخفا.. ومن تكونان أنتِ وسارة؟ كيان واحد بلا هوية أو تميز.. ملامح لشخصية فارغة.

- يكفي.. أنا لست فارغة.. أنا لي فكر وكيان وآراء.

- هراء.. عن أي فكر تتكلمين.. هل مشاهدة المسلسلات العربية والتركية والأفلام تترك فراغا في عقلك ليشغله أي فكر.. أتمازحين نفسك أم تخادعينني.. أنت تحلمين بأن تكوني أميرة لأمير غير موجود إلا بأحلامك ومع ذلك تخشين الاقتراب من أي شخص حتى لا تتألمين وبالتالي تقتلين عمرك.. أما عن آرائك فحدث ولا حرج فإنها ليست سوى فكر والديك اللذين أغلقت دنياك بعدهما فلا يوجد لك مصدر آخر لأي معلومة إلا من عقلين عجوزين عاشا الحياة بكل متعتها ثم ملا فأورثاك مللهما وبطأهما ورغبتهما في حسن الختام ليس إلا.. عن أي كيان تتحدثين وأنت لا تحدثين فرقا في حياتك ولا ترسمين لكل يوم من عمرك صورة جديدة أو حكاية بأي تفاصيل.. أيام تمر فلا تتأثرين أو تؤثرين.. أحمقاء أنت؟

- كلنا كذلك.. عصرنا وظروفنا تدفعنا لما نحن عليه.

- توقفي.. أنت غبية أو كاذبة.. ألا تقرئين عن أي شيء.. أتظنين من لمع نجمهم كانوا يعيشون وحدهم في بيئة محفزة.. إنهم مثلك في ظروف سيئة.. لطالما بلدك كان في ظروف سيئة ولكنهم لم يقبلوا أن تضيع حياتهم سدى.. فماذا فعلت أنت؟ حصرت أحلامك في الزواج وحتى هذا

الحلم لم تسعي إليه. جبنت فصمت وحوّلت حياتك إلى بركة راكدة عفنة يوما ما ستتبخر ولن تترك بعدها أي شيء يذكر.

صدمتها دقيقة حقيقة نفسها التي نبعت من داخلها.. ونظرت للمرآة متفحصة تلك المرة...

فلم تجد ما يستحق أن تنظر في المرآة له.

عيد



يكفـي.. مـرت شـهور وأنـا في البيـت.. لا أرى الـشارع سـوى مـن نافذتي والشرفة.. مللت الجلوس.. مللـت التلفـاز.. مللـت الطبخ ومللـت الملل.. لست من هواة القراءة لأضيع هذا الوقت مـع كتـاب.. أمـي وأبـي لم يفتحا لي قناة تواصل معهما منذ صغري لأقضي وقـتي في الثرثـرة معهمـا. أخواتي البنات تزوجن عـدا فريـدة الـتي تعـشق أن تجلـس لتـذاكر طـوال الوقت وغير ذلك فهو هراء.. أحمد دخـل الجـيش وتركنـا.. وحـين يـأتي يستريح ثم يذهب ليقابـل أصـدقاءه.. الكمبيـوتر ضـيف ثقيـل علـى قلـبي لأرتاح لـه سـوى حـين تنـاديني فريـدة لأشـاهد معهـا فيلمـا جديـدا.. في النهاية لا أهتم به وبالأصح لا أفهم أو أعرف كيف أتعامل معه.. فقد أتـى منزلنا بعد أن فقدت أنا شهيتي لأتعلم أي جديد.

أظن أن وحدتي كان سببها غبائي وطيبتي.. فالمحل الذي أعمل به منذ تخرجي من سنتين أوكل صاحبه الإدارة لأخيـه بعـد أن وهـن جـسده حتى عن مغادرة الفـراش.. وأخـوه هـذا يـدعى نـصحي.. يـشبه الخنزيـر بعـض الـشيء إذا كـان الخنزيـر يـشبه مـا يرسمونـه في الكاريكـاتيرات بالجرائد التي نفرشها لنأكل عليهـا.. نـصحي هـذا سمـين وقـصير ويأكـل

بشراهة مقززة وعيناه لا تريح أحدا.. منذ أن أتـى المحـل وأنـا أحـاول أن أتجنبه بكل شـكل فهـو يـضايق الفتيـات اللاتـي يعملـن معـي بـالنظرات والكلمات وأحيانا اللمسات للواتي يتجاوبن معه والجميع صامتات لأنهـن يخشين فقدان عملهن.. منذ البداية قررت تجنبه فكنت أشغل نفـسي مـع أي زبون يدخل المحل حتى ولو لم يشترِ شيئا.. لم أجلـس أنتظـر الزبـون حتى ينتهي ويقرر ما يشتريه مـن ملابـس بـل كنـت أرافقـه كظلـه حتـى يرحل ويدخل أحد مكانه.. وجهدي المبالغ هذا لفت نظر نصحي لـي بـدلا من صرفه عني فأضاف راتبي بحجة جهدي الدءوب في العمـل.. أنـا أدري أن تلك الجنيهات التي أضافها هي شباكه الأولى تجاهي.. ولكنني شـكرته مع ابتسامة متكلفة ولم أعلق حتى لا أفتح له مجالا للكلام.

وفي اليوم التالي مساء استـغل انـشغالي وبـدأ في تـسريب زميلاتـي وجعلهن يتركن المحل واحدة تلـو الأخـرى حتـى فـرغ المحـل علينـا أنـا وهو.. وحين رحل الزبون الذي كنت معه حاول نصحي اغتـصابي ولكـني صفعته وبصقت عليه وتركت المحل.. وفي أثناء عودتي للمنزل كنت أبكـي وقد لفت ذلك أنظار فتى في العـشرين مـن عمـره فظـل سـائرا خلفـي حتـى وصلت لشارع هادئ فانقض علي ولكنني لا أدري كيف خرجـت مـني تلـك الطاقة فقد خمشت وجهه بكل قوتي وعضضت ذراعـه وضـربته بقـدمي في

بطنه بشكل مباغت ومتواصل وقوي ليأسي، فسقط الفتى متأوها فلكزته وهو على الأرض في جنبيه لأضمن استمرار ألمه بشكل أطول لأتمكن من الهرب ثم ركضت للمنزل.

بالطبع لم أحكِ شيئا في البيت حتى لا يمنعني أحد من عملي وقد اعتبرت كل ما حدث وسائل لتقوية ذاتي في الدفاع عن النفس.. وأنني سأعمل بمحل الملابس ذلك على الرغم من نصحي حتى أمل أنا هذا أو أجد مكانا غيره أفضل.

* * *

لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.. فزميلتي في العمل بثينة كانت تكنّ لي كل الحب، خاصة بعد زيادة راتبي.. فلم تحذرني من نصحي حين أمر البنات بالرحيل ثم اتصلت بأمي مساء هذا اليوم العصيب بعد أن عدت أنا منهكة ونمت لتقول لها: إن نصحي أمر الفتيات بالرحيل تحت تهديدهن بالطرد من المحل ليعتدي عليّ.. وأني خائفة من أن أقول لها ولأبي ذلك حتى لا يقوم والدي بأمر عنيف مع هذا الخنزير يكلفه قضاء يوم أو أكثر بالحجز.. وإنها الحنونة اتصلت لتطمئن علي.. وكان هذا بالطبع سبب منعي عن العمل والنزول من المنزل من اليوم الذي تلاه حتى الآن.

عملي هذا لم يكن في بالي.. فأنا ككثير من الفتيات لا تحلم سوى بأن تكون زوجة وأمّا.. وقد كنت أحب علاء بشدة ويوم خطوبتنا احتفلنا في منزلنا وحضر كل الجيران وبعد سنة انفصلنا وذهب ليخطب نسرين التي تسكن فوقنا والتي سكنت قلبه منذ أن رآها في خطوبتنا، لكن المسكين لم يتمكن من أن يأسر قلبها ويقنعها بقبوله بعد أن يتركني من أجل حبه لها إلا بعد عام.. عملت لأشغل نفسي عن كرههما معا.. وكل الرجال جميعا. وها أنا الآن أقضي فترة حبسي للشهر التاسع في المنزل بسبب رجل آخر.

سمعت عن تحرشات العيد الجماعية وما يحدث للفتيات في الشوارع العامة بعد أن يركض الشباب بأعداد غفيرة عليهم فيسببون الارتباك ويقطعون ملابسهن مستغلين قوة التجمع وضعف الفتيات.. وقد حكت أخواتي بأنهن لا ينزلن في العيد مطلقا مع أطفالهن خوفا من تلك الفوضى التي تسود بالشوارع وقتها.. ولكنهن يخرجن عموما إذًا لماذا أنا محبوسة؟

لذا قررت اليوم وقبل العيد بيومين أني سأنزل في العيد لأتمتع برؤية مراسمه في ملابس الأطفال ولهوهم وأن أدخل السينما لمشاهدة أحدث الأفلام.. ثم الذهاب إلى التحرير لأتمشى على النيل وأركب مركبا

يشغل أغاني شعبية صاخبة وسأنهي جولتي بشراء عشاء فاخر لي ولفريدة ثم أعود للمنزل.

لا.. لا أرغب ذلك للتمتع بملامسات الشباب في تلك التحرشات.. بل سأفعل ذلك لردع بعضهم وتعريفهم أننا لن نقبل بدور الضحية وأننا قادرات على حماية أنفسنا ولا نحتاج لهم لنشعر بكياننا.. وبعد العيد سأنزل للعمل مجددا.. فلا يوجد شخص يستحق أن أهدر عمري محبوسة لخوفي منه مهما كان.. لا أدري موقف أبي مع موضوع عملي لكن موقفي في العيد سيثبت لهم قوتي.. لذا أحضرت ما سأرتديه في العيد.. حذاء بلا كعب وسهل الخلع لسهولة الحركة وسرعتها مع إمكانية استخدامه كسلاح دفاع.. زجاجة متوسطة الحجم تحوي مياها مذاب بها فلفل وشطة لرشها على الوجوه والعيون. وملابسي فضفاضة لا تثير حجتهم.. مع كونها مريحة في الحركة يصعب خلعها بمجرد الجذب العنيف لها.

نعم أنا مستعدة.. لست ضحية ولن أقبل هذا الدور.. ربما لست رائعة الجمال أو شديدة الذكاء أو متميزة بجاذبيتي.. لكني إنسانة تستحق إنسانيتها.. وذات روح وكيان ستناضل لحمايتهما حتى آخر أنفاسها.

غيرت حياتي فتركتها

التقيتها ولم أكن أدري أن في لقائها عذابي.. لا لم أحبها لكن شيئا ما غريبا جذبني إليها.. وقبل أن نتكلم عرفت أنها تحدّ صعب.. كانت غامضة على الرغم من بساطة ملامحها. وخلفها خيط من رماد نيران منطفئة.. شيء عجيب في أمرها.

كان حظي جيدا أقصد سيئا حين استجابت هي لإلحاحي عليها لكي تقف لي.. لم يكن الأمر صعبا وكان يبدو من استجابتها انجذابها لي أيضا مثل حالي لها.. يومان قد مرا ولم تنقطع اتصالاتي بها.. كنت سعيدا فعلا بكلامنا معا ونقاشاتنا ومزحنا لكن حين التقينا أمر ما قد حدث.. جلسنا معا تشاركنا القصص والأكل والسعادة وحكيت لها عما يدور بداخلي من أفكار ومن بعض المخاوف ومن تجارب ومن ذكريات، وهي كذلك ووجدنا أن هناك نقاطا مشتركة بيننا وأشياء أخرى تختلف تماما فيما بيننا.. لم أنفتح بهذا الحد من قبل مع أحد منذ فترة طويلة وقد سعدت بحواراتنا.. لكن ما أخافني بحق هو أنني حتى أكون صادقا معها جعلت كلامي زجاجا يكشف ما بداخلي لها فانكشفت على نفسي أيضا. كنت أدري أن مبادئي في الحياة هزلية بعض الشيء لأنها تعتمد على مصلحتي أولا، وكنت أتندر على

أصدقائي المتزوجين وأتباهى بحريتي وقد حكيت لها ذلك فضحكت ووافقتني رأيي وتفكيري، لكن في وسط كلماتها ما بين كل تفسير أو حكاية تعطي لي كلمات تبين مدى أنانيتي أو مدى فراغ حياتي أو مدى تفاهتي.. كانت تقول ذلك في شكل مزحة أحيانا أو في شكل مثال أو حياة شخص ما تعرفه أو ما لا تريده لنفسها في الحياة..

كانت خيالية بشكل متزن، وكانت طموحة بشكل مبهج وكانت منطقية بشكل مخزٍ لي. لم تهِن تفكيري.. لم تنتقد أفكاري لم تعترض على إحداها بل كانت دوما تقول العكس والصحيح الذي أتجنبه في شكل رأي شخصي لها ويحق لي الاعتراض عليه.. لذا فلم أعترض لأنها تقبلني كما أنا.. لذا علي أن أتقبلها كما هي.

نعم أثارتني وبهرتني.. لا لم أحبها. وحين رحلت كانت قد دمرت حياتي لأنها أظهرت لي مدى تفاهة تلك الحياة وأنانيتها وفراغها من أي دفء لم أفكر به مسبقا لذا تركتها وهربت عسى ألا ألقاها مجددا وعسى أن أكون قادرا على استرجاع حياتي كما كانت قبلها.

في بيته



اليوم قررت قرارا رهيبا.. أن أذهب لبيت دجال.. يقولون إنه رجل دين لا دجال ويعالج بالقرآن لا بأرجل الدجاج وعيون الضفادع وأسماء الثعابين. يقولون الكثير ولكني لا أصدق.. ربما سيسألني البعض إذًا لما ذهبتِ؟ أو قد يسبني البعض لإيمانه بتلك الأمور.. بل وسيأتي بالأمثلة من التاريخ الإسلامي وحياة الرسول عن العلاج النبوي.. وعذرا سأجيب الفئة الثانية قبل الأولى. من قال إن هذا الرجل يستخدم العلاج النبوي؟ إنه يخاطب الجن والقرين يا سادة.. هل كان رسولنا الكريم يفعل ذلك؟!! كيف تأمنون لمن يحدث الجن هذا؟ ألا يمكن أن يديم الشقاء لك في أمرك أو يأتي لك به لضمان أن تظل تأتي له وتعطيه "الحلاوة" أو "اللي تقدر عليه". أما الفئة الأولى فأجيبها أني ذهبت للمشاهدة ليس إلا فأنا أؤمن أن الإنسان طالما يطيع ربه ويخشى ألا يرضيه بالقول أو الفعل.. ويؤدي ما عليه فهو مصون من شر الإنس والجن. وأن ما يقابله من عقبات في حياته فذلك لأنه مكتوب له من قبل ولادته أنه سيقابلها وأنها محطات تنقيه من الذنوب واختبارات على التمسك بالدين والإيمان بالله.. وأنه ما دام أنه لا يلجأ إلا لربه فكل الأمور مهما صعبت هينة.. دعكم من رأيي

الشخصي.. فسأحكي لكم ما رأيته هناك فلم أكن متأكدة فعلا مما تعرضه الأفلام والمسلسلات عن الأمر لمعرفتي أنهم قد يبالغون بعض الشيء للحبكة السينمائية أو لإمتاع وتشويق المشاهد.

يسكن هذا الرجل أو مقر عمله - لا أدري أيهما - في شقة شديدة الصغر في الطابق الأول بإحدى المناطق الشعبية.. وتلك الشقة تتكون من غرفة صالون ضيقة يضع بها أريكتين متقاطعتين ووسادتين كبيرتين على الأرض للجلوس وهناك بابان متجاوران؛ أحدهما لغرفة نوم، لم أدخلها، لكن كانت بها فتاة، فتحتها أكثر من مرة وظهر الفراش خلفها، وفضولي منعني من أن أمنع عينيي، والأخرى لغرفة عمل هذا الرجل.. وكانت هناك أيضا ستارة تغطي فتحة في الجوار بجانبي ظننت أنه مدخل للمطبخ والحمام.. وكان زجاج الأبواب عليه لوحات ورقية متوسطة الحجم عليها سور قرآنية صغيرة.. بينما على الجدران فهناك لوحات كبيرة الحجم للمسجد الأقصى وأخرى لمسجد قبة الصخرة والثالثة للكعبة والجدار الرابع الذي به الباب عليه عداد الكهرباء ويتدلى من غطائه مسبحة كبيرة الحجم. ما لاحظته أيضا أن الجالسات جميعهن نساء.. ولكني هذا لا يعني أنه لا يعالج سواهن.. فهناك من أتت ومعها رجل - ولا أظن أن هناك رجالا يأتون له بمفردهم - تجلس هي بالداخل وهو ينتظر على

الباب أو ينتظر كلاهما خارج الباب حتى يحين دورها فيدخلا معا إليه في غرفته.

في يوم زيارتي، أو بالأصح وقت زيارتي له.. كانت الجالسات خمس نسوة تتراوح أعمارهن بين أواخر العشرينات وأوائل الأربعينات - بالطبع لم أسألهن عن عمرهن لأكون أكثر دقة في وصفي - وكانت هناك من تدخل ولا تستغرق دقائق بينما هناك من تخرج بعد أكثر من ساعة والدور في الدخول بأسبقية الوصول.. فالنساء كلما أتت وافدة جديدة يراجعن ترتيب دخولهن مع عدم إهمال الواقفات خارج المنزل طالما أنهن دخلن وسألن الجالسات أن يحفظن دورهن لوقوفهن بالخارج.. وكل دقائق يدخلن ليتابعن المستجدات.

من الجالسات ثلاث فتيات يافعات في أوائل العشرينات أتين بعدي في أثناء جلسة الانتظار تلك.. إحداهن ترتدي عباءة سوداء والأخريان ترتديان ملابس مزركشة الألوان.. جلسن في صمت لربع ساعة ثم بدأن الكلام مع بعضهن..

* * *

ثم ما لبثت أن انتقلت عدوى الكلام بعدها للجميع وانكسر الصمت

وطارت الغربان من على رءوس الجالسات.. وكانت حكاياتهن هي ما جعلتني أكتب اليوم.

كنت جالسة تقريبا بالمنتصف وعلى يساري في الأريكة الشابات اللاتي وصلن مؤخرا.. وعلى يميني في الأريكة المتقاطعة مع الأخرى صديقتي التي تشجعت وأتت معي - فأنا محال أن أذهب لهذا المكان وحدي - وامرأة أظنها في أوائل الثلاثين.. وأمامي على الوسادتين امرأتان في أواخر الثلاثين من عمريهما أو أوائل الأربعين.

بدأ الحوار حين تحدثت إحدى الشابتين المزركشتين عن أخيها الذي يصغرها بعامين.. فهو في يوم سيئ - على حد قولها - قد التقى بامرأة ساقطة تكبره بعشرة أعوام.. وقد تمكنت تلك الشيطانة اللعوب - الكلام على لسانها - من خداعه وإسقاطه في شباكها فأهمل دراسته وظل ينفق عليها مال أبيهم الخاص بدروسه.. وحين انكشف أمره وتشاجر معهم في البيت ترك الدراسة وذهب ليعمل في محل إصلاح سيارات بأجر يومي حتى ينفق عليها يوميا ويسعدها دائما.. وأن أباها كبير السن لم يتمكن من ردعه ولم يستمع أخوها لنصائحه.. وحين غضب وقرر أن يطرده بكت أمها وقالت إن الأفضل أن يبقى تحت أعينهم وإنها لديها حل ما ثم أرسلتها للشيخ ليفك العمل الذي يأسر أخاها في شباك تلك المرأة.

وبعد لحظات من الصمت ردت عليها المزركشة الأخرى:

- كان الله في عون والدك.

- إنه مريض.

- الله يشفيه.

وحينها قالت المرأة التي بجانب صديقتي:

- أبي أيضا مريض ومرضه قد حيرنا جميعا.. لم نظن أنه مرض إلا مؤخرا.. فقد امتنع عن الأكل تماما.. فظننا أنه غاضب من أمر ما وظللنا نعتذر له عن أشياء فعلناها وأشياء لم نفعلها وهو يقسم أنه غير مستاء لكن يعتذر أيضا أن يأكل أي شيء ويكتفي بشرب الماء فقط لمدة أسبوع مما أضعفه حتى عن أن يترك الفراش وأصبح أشبه بالأموات من ضعفه وهزلانه فاتصلت بالإسعاف ونقلناه للمستشفى الذي باشر على تغذيته بالمحاليل لرفضه الدائم للأكل، ومر شهر ونحن نتناوب على البقاء معه فهو ممنوع من الخروج من المستشفى حتى تأتيه الشهية مجددا للأكل.. وقد جربنا كل شيء حتى الطب النفسي.. إضحاكه بشكل مستمر.. طبخ الأكل الذي يحبه.. شراء الطعام الفاخر ذي الروائح الفواحة الشهية.. لكن لا نتيجة فلم أجد سوى أن ألجأ للشيخ لعل شفاء أبي يكون هنا.

ظهرت نظرات حزينة على هذا الرجل في العيون مع صمت لثوانٍ..

قاطعته المزركشة الأخرى قائلة:

- أختي تكرهني.

* * *

التفتت إليها الجالسات بعيون متسائلة فقالت:

- نعم أختي تكرهني.. لا تحب لي الخير أبدا.. صدقا لن أقول منذ زمن.. بل الأمر بدأ منذ 4 أعوام حيث تقدم زوجي لخطبتي وفسرت تغير سلوكها وقتها بغيرة البنات لكن الأمر تفاقم.. فهي لم تكن تحبه ولم تقابله طوال عام خطوبتنا إلا بالصدفة وكانت تتجنبه بشكل مهين أو تجرحه بكلماتها لو وجه لها الكلام ثم انتقل كرهها لي حين زجرتها عدة مرات على سلوكها مع من سيكون زوج أختها.. أصبحنا غريبتين في الوقت الذي رغبت فيه بشدة أن تكون معي في تجهيز بيتي.. فهي أختي الوحيدة لكنها فعلت آخر ما قد أتصوره.. لم تحضر حفل زفافي.. ظلت بالبيت بعد أن تشاجرت مع أبي وأمي لذلك. ظللنا غريبتين هكذا وأنا قلبي يؤلمني من ذلك.. لكن ما دفعني لأن آتي إلى هنا هو نظرة الكره لأطفالي حين ذهبت لزيارة والدي ببيت الأسرة لأول مرة بعد الإنجاب.

كانت ولادتي صعبة (ولادة قيصرية) لتوأم.. زوجي وأمي وأبي كانوا معي.. لكن كنت في حاجه لها هي.. خصوصا في الفترة التي تلت الولادة.. الآن أصبحت أخاف على طفلي منها ولا أدري لذلك حلا..

هنا قالت الجالسة أمامي على الوسادة:

- توأم.. ما شاء الله.. اللهم احمِهما لها.. حتى من عينيّ.

كانت الكلمات عادية حتى آخرها.. الذي كان غريبا وسبب جذب العيون لها بسرعة وبغرابة مشوبة بغضب، وقتها شعرت أن هناك شيئا غريبا.. الكلام ابتعد عن مجرد كلام جلسة نساء.. بل إن هناك مباراة خفية هنا لجذب الأنظار والفوز بلقب أسوأ القصص وأغربها.

- لا تغضبني أرجوك.. أنا أدعو لهما بالحماية.. خصوصا من أمثالي غير القادرات على الإنجاب.

هنا تحولت نظرات الغضب لإشفاق.. وأخذت المتحدثة نفسا طويلة ثم تنهدت وقالت:

- ذهبت لأكثر من عشرين طبيبا أنا وزوجي ولكنهم جميعا أكدوا سلامتي أنا وهو وقدرتنا على الإنجاب.

هنا سألتها التي تجلس على الوسادة المجاورة لها:

– منذ متى وأنتما في تلك المتاهة؟

– منذ تسعة أعوام.. تعبت أذهاننا وأنهكت أجسادنا من كثرة ما فعلنا وجربنا مع الأطباء لحل تلك المشكلة والعمر يمضي وأخاف أن أشيب بلا طفل وزوجي، أكرمه الله، لم يتخلّ عن الأمل أو عني.. أو ربما لعدم تأكده من أن العيب بي أنا وليس هو.. لذا لم يتزوج غيري حتى لا يتكرر الأمر.

– هل أنتما ليلاً... جيدان؟

* * *

– ليس هذا السبب أيضا.. إننا طبيعيان جدا.. لكن مؤخرا فقدنا الرغبة لذلك.. فقط نقوم به لعل الله يرزقنا بطفل بعد صبرنا هذا.

– ولماذا لم تأتي من قبل للشيخ؟

– زوجي لا يؤمن بتلك الأشياء.. لكن مع يأسنا وإلحاحي وافق على مضض وأتى معي.. إنه الرجل الجالس في السيارة التي بجانب باب المبنى.

– نعم لقد رأيته.. أتريدين نصيحتي؟

– لم لا؟ أفيديني.

- لا تفكرا بالأمر.. فكلما فكرتما به زاد الضغط العصبي الذي يمنع الجنين من التكون.

- لقد قال الأطباء كذلك ولكننا غير قادرين.

- يا حبيبتي الأطفال رزق فإن كتبه الله لكم فإنه آت لا محالة اصبرا فقط.. ويمكنكما أيضا تبني طفل الآن تشغلان تفكيركما به حتى يأتي ابنكما وإن لم تنجبا فهذا المتبنى سيكون تعويضا يسر قلبيكما.

- اللهم لا تحرمنا الإنجاب.. وأنت لم أتيت؟

- لا أظن الأمر يستحق الذكر.

- هنا ظهرت النساء لها نظرات كالسهام المؤلمة التي دفعتها لاستدراك خطئها بقول:

- إنه زوجي.. بعد أن توفي والداي لم يعد لي سواه في الحياة.. ولكنه مؤخرا تغير كثيرا وأهملني.. صدقا إنه لا ينظر لغيري.. لكنه لم يعد ينظر لي أيضا. أدرك أن الأمر صعب مع عمله وطلبات الأطفال وهمومهم.. ولكنه كان يمكن أن يقوم بذلك ويجد وقتا لي في النهاية ولو ساعة أسبوعيا.

هنا تأملتها لأول مرة بعينين متفحصتين لأجد أنها متوسطة

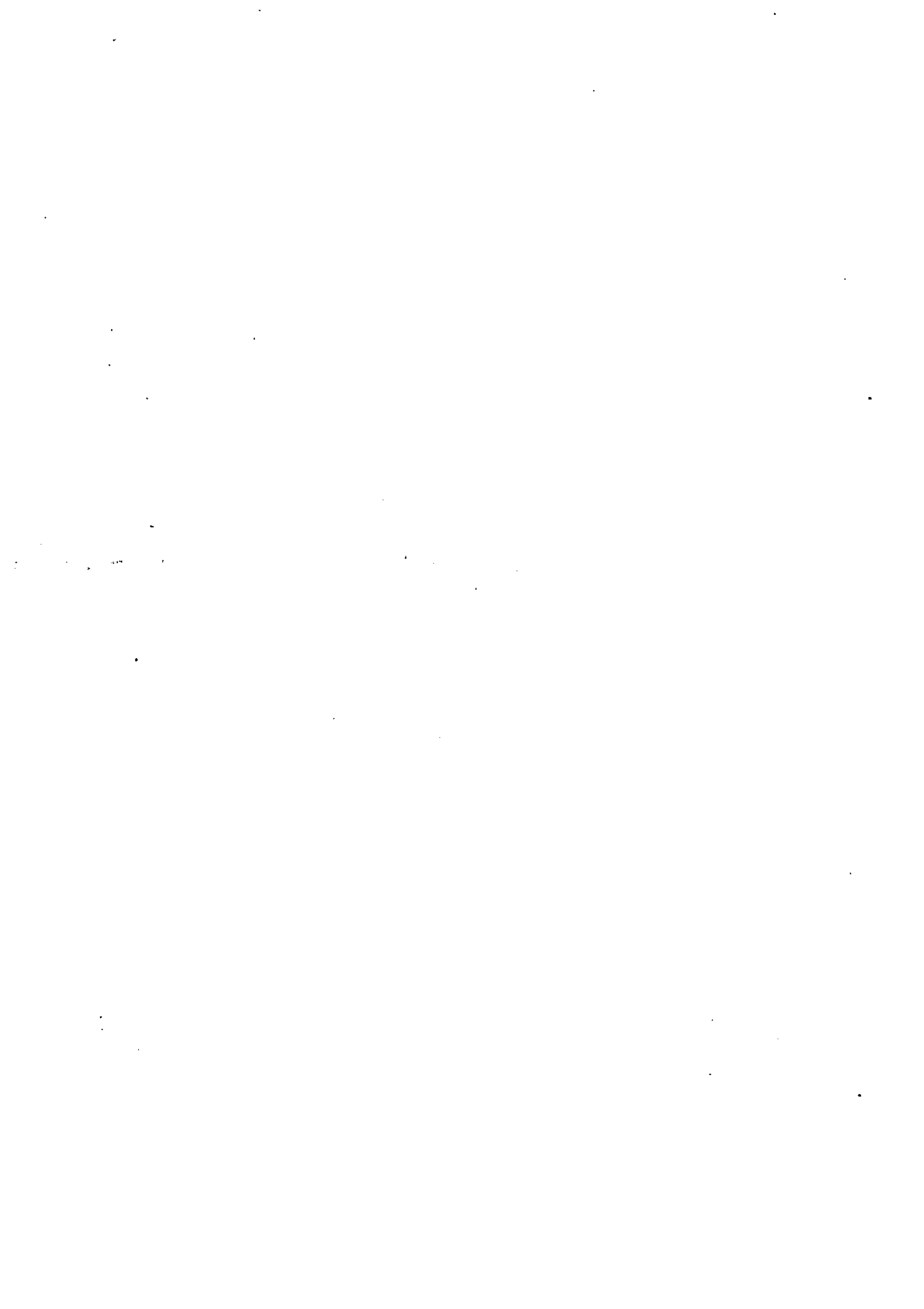
الجمال.. ممتلئة القوام بعض الشيء وذلك غالبا للحمل المتكرر – ألم تقل أطفالا؟ – كما أنها لو تجلس مع زوجها بهذا الشكل الذي عليه الآن فحقه ألا ينظر لها وذلك لمصلحتها حتى لا يكرهها.. عليها أن تهتم بنفسها قليلا.. عموما لن أقول شيئا حتى لا تأكلني.. كما أني مجرد مشاهدة كما قررت هذا بالبداية.. هنا قالت ذات العباءة السوداء بشيء من الانكسار:

– خطيبي أتعبني جدا.. إنه لطيف مع كل النساء بشكل مبالغ.. كما أن الجميلات قادرات دوما على جذب انتباهه وتشتيته عني مهما فعلت بنفسي.. إنه يقول إني جميلة ويعتذر لي دوما عن سلوكه ويضع عذره على أهله.. فهو متوارث عن أبيه وأجداده وقد تمكنت أمه من التعامل بحكمة مع ذلك والحفاظ على حب أبيه وهو يأمل أن أقوم بذلك أيضا ولكنني تعبت.. فأنا شديدة الغيرة وتلك طبيعتي. آه لو أنني لا أحبه لكنت تركته منذ زمن.. أتمنى أن يجد الشيخ حلا لعلاجه مما هو فيه أو علاجي من الغيرة أو إيقاف حبي له.

ابتسمت ابتسامة تهكمية زالت بمجرد أن لاحظت أن الأنظار توجهت إلي فالدور علي لأحكي أيضا.. يستحيل أن أقول إني أتيت لأشاهد.. سيكون ذلك فتيلا لانفجارهن بكل إحباطهن وغضبهن في.. وقبل أن أفتح فمي لأحكي أكذوبة ما.. فتح باب غرفة الشيخ وخرجت من كانت

عنده منهكة مشعثة حمراء العينين نتيجة البكاء فتشتت النظرات عني لها وكان دوري للدخول فقمت أنا وصديقتي وتوجهت بسرعة جاذبة صديقتي معي لباب الخروج من المنزل مع نظرات الدهشة ثم علقت قبل أن أرحل على باب منزل هذا الرجل ورقة تحمل "ملجأ البائسات والحمقاوات".

قطار



انتهى الإضراب أخيرا وعادت حركة القطارات مجددا إلى سابق عهدها.. وفي محطة وسط بين مصر وأسوان ركب شاب أسمر الوجه ذو عينين بنيتين تشيان بالحماس وشعر أجعد أسود قصير يرتدي قميصا أزرق فاتحا وبنطالا جينز باهت اللون.. وقف في مقدمة العربة يمشطها بعينيه عله يجد أحد المقاعد فارغا.. لكن لم يسعده الحظ فتحرك نحو العربة التي تليها مخترقا المقاعد متوجها للباب المقابل لكن في أثناء سيره المتمهل الحذر في الممر الذي امتلأ بالحقائب بكل إهمال.. حيث إن كل جالس يضع له بين ساقيه حقيبة وأخرى بجانبه في الممر.. وجد كرسيا فارغا فوقه حقيبة فاستفزه الأمر.. حيث إن الكراسي للركاب وليست للحقائب فنهر الجالس على الكرسي المجاور للحقيبة.. فنظر له الآخر شذرا أو أشار له من دون كلام بما يعني أن تلك الحقيبة للجالس في الكرسي المقابل لها.. تأسف في هدوء ونظر للمشار إليه فوجده نائما ساندا رأسه على النافذة اليسرى بجانبه.. فقام الشاب الأسمر برفع الحقيبة وجلس مكانها ويبدو أن تلك الحركة قد أيقظت صاحب الحقيبة.. كان شابا في الثلاثين ذا بشرة قمحاوية وعينين خضراوين لا تتناسبان مع لون بشرته وله فم صغير وذقن حاد

مدبب قليل وشعر بني ناعم وقصير.. ابتسم للأسمر قائلا عذرا لقد كان القطار فارغا حين ركبته.. فابتسم الآخر ابتسامة بسيطة قائلا: لا عليك. فقال صاحب الحقيبة: أنا شاكر وبما أننا سنكون معا لساعات فضع حقيبتي على الأرض بدلا من على ساقيك.. فرح الأسمر لهذا الاقتراح فقد وضع الحقيبة على ساقيه كحركة اعتذار على إساءة الظن بالفتى وإيقاظه أيضا.. قال: وأنا حسن.. وآسف أني أيقظتك.. يمكن أن تنام مجددا وسأحرص على ألا يزعجك أحد. قال شاكر: لا عليك.. فلقد استيقظت بالفعل ولن أنام قبل ساعتين على الأقل.. ثم انحنى على الحقيبة وفتح جيبا جانبيا وأخرج منه كتيبا صغيرا ثم بدأ يقرأ في هدوء وكان حسن يتابع الطريق الراكض عكس اتجاه القطار.. يتأمل الأشجار والطرق والبيوت وحين مل نظر إلى شاكر فوجده منهمكا في الكتاب وكأنه ليس معه في القطار.. نظر إلى الكتاب فوجد صورة هذا الثوري الكوبي الذي انتشرت صورته على الحقائب والملابس والأكواب مؤخرا.

قال حسن لشاكر: ده كتاب عن جيفارا؟ فانتبه شاكر بأن الكلام موجه له فقال: تشي جيفارا.. فرد حسن: أفندم؟ فقال شاكر: تشي يعني سيد هو لقبه وأظن الرجل بعد كل ما قام به يستحق أننا نحترمه.. حسن: لا بأس. صمت حسن حين وجد أنه ليس من مصلحته أن يستمر في

هذا الحوار فهو لا يدري شيئا عن هذه الشخصية سوى أنه ثائر كوبي وصوره في كل مكان.. لذا هو عرفه من ذلك.. غير هذا لا يدري عنه شيئا.

قال شاكر وكأنه أدرك ما في نفس حسن: ماذا تعرف عنه؟ فتلعثم حسن قائلا أعرف أنه.. أنه.. فبتسم شاكر ومد يده إليه بالكتاب.

فقال حسن: ولكنك ما زلت لم.. قاطعه شاكر: بل أقرؤه للمرة الثالثة لإعجابي بهذا الشخص. ارتفع حاجبا حسن وقال شاكر بشيء من الخجل: هل أنت قادر على القراءة؟ فقال حسن: بالطبع.. أنا متخرج في كلية زراعة.. لكن أنا لا أحب القراءة.. فرد شاكر: عليك أن تحبها فهناك أشياء كثيرة لن يمدك التلفاز بشيء منها وفي الإنترنت أيضا ستضطر أن تقرأ.. لا تحبس نفسك.. ابتسم حسن وأخذ الكتاب شاكرا إياه.. ثم بدأ في تصفحه من دون اهتمام.. في هذا الوقت مر بائع الجرائد مناديا بأسماء الجرائد بين المسافرين فأوقفه شاكر واشترى جريدتين؛ إحداهما قومية، والأخرى معارضة، وجلس يقلب بأوراقهما وانهمك كعادته بداخلهما فاستغل حسن الفرصة ودفع الكتاب في حقيبته وعاد لتأمل الطريق.

* * *

"لا إله إلا الله" ارتفع صوت شاكر بهذه الجملة في أثناء قراءته للجريدة القومية مما لفت نظر حسن وعدد من الجالسين بالقرب منهم، لكن حسن من بادر بالسؤال حين رأى شاكر قد تجهم وجهه: خير؟ فقال شاكر دون أن يحرك عينيه عن الجريدة: حادث بمنطقة إمبابة بإطلاق الأعيرة النارية مما أدى إلى وفاة اثني عشر شخصا. فقال حسن دون أن يتأثر.. آه.. لقد أعلنوا عنه أمس ليلا في المواقع الإخبارية الإلكترونية. طوى شاكر الجريدة بعيدا ناظرا لحسن وقال له: ماذا حدث قل لي.. الجرائد القومية لا تعطي الخبر كاملا.. شرد حسن بعيدا قائلا: حادث طائفي بين المسلمين والمسيحيين بسبب فتاة مسيحية أسلمت وحبسها المسيحيون فاستنجدت بالمسلمين وحدث ما تراه الآن، قال شاكر: "لا إله إلا الله" أين كبار الشيوخ والقساوسة لمنع تلك المذبحة وحل المشكلة من البداية؟ فقال حسن: هذا ما أخذناه من الثورة.

وكأن الكهرباء قد لامست جسد شاكر بعد سماع تلك الجملة.. فنظر لحسن متسائلا: ماذا تعني؟ قال حسن: قبل الثورة لم تكن تحتاج لتنام ليلك خارج البيت لحماية أهلك.. كان هناك أمان.. لم يكن البلطجية بالشارع وكانت الشرطة تقوم بعملها ولم تتوقف الأعمال أو تحدث تلك المجازر ولم تقف السكك الحديدية وغيرها.. أتدري أنني أرغب للسفر

لأهلي منذ أسبوع وأخاف أن أسافر في المواصلات فيخرج علينا قطاع الطرق ليسرقونا ويقتلونا. والسكك الحديدية كانت متوقفة كما تعلم وظللت محبوسا في القاهرة الكئيبة تلك عاجزا عن أن أكون بجانب أهلي لأحميهم في هذا الوقت العصيب.

أخذ شاكر نفسا طويلا ثم صمت لدقائق مغمضا عينيه ليستجمع أفكاره ثم قال: من أخرج البلطجية من السجون؟ رغب حسن أن يرد لكن شاكر أشار له أن ينتظر.. ثم أكمل كلامه قائلا: من منع الشرطة من حماية المصريين؟ من صنع البلطجية وأمدهم بالمال والأسلحة في فترات الانتخابات أو المظاهرات.. من سرق الأموال بحيث دفع العاملين في السكك الحديدية والمستشفيات والمصانع والشركات للاعتصام والامتناع عن عملهم الذي لا غيره لإطعام أبنائهم ليطالبوا بحقوق إنسانية كالخدمة الصحية أو المرتب المناسب أو الترقي وغيرها. من أهمل المواصلات حيث أصبحت أكبر نسبة وفيات فيها؟ من أهمل التعليم فأصبح الجاهل والمتعلم سواء؟ من أهمل سوق العمل بحيث زادت العمالة الأجنبية والبطالة ونسبة الاكتئاب والانتحار والهجرة العشوائية غير القانونية والقاتلة أيضا؟ من أهمل الصحة بحيث الداخل لعمل عملية لوز يخرج من المستشفى وقد سرقت كليته أو مصابا بمرض ناتج عن تلوث الأدوات؟ من السبب في تلوث مياه الشرب.. وسرطنة

الخضراوات والفواكه المزروعة بأرضنا؟ من المستفيد من زيادة نسبة الاستيراد على نقص الصناعة والتصدير؟

حسن.. أنا لا أنتقدك ولا أنتقد وصفك للثورة لكن يا عزيزي هناك من ماتوا فيها وقد قبلوا أن تكون أرواحهم ثمنا لأن ينشأ أولادك في بيئة أفضل وأصح مما نشأنا نحن فيها.. كن منصفا واصبر فالإصلاح عملية كاملة وليست نتيجة سريعة لأي موقف.. وساعد هذا الوطن أن يكون كما نحلم به حتى لا يهدر دم شهدائنا هباء.. صمت شاكر وأخفى وجهه في الشباك ليخفي دمعتين ترقرقتا بهما عيناه رغما عنه، لكن حسن كان قد لاحظهما منذ بداية ظهورهما واستشعر صدقهما.. لذا لم يجادل وصمت وظل يفكر قليلا فيما سمعه ثم أخرج من حقيبته كتاب جيفارا وبدأ يقرؤه في تركيز وعاد شاكر لمواصلة قراءة الجريدة وظل القطار يركض عكس الطريق ليحملهما معا لأرض بعيدة في أقاصي بلدهما تنتظرهما بشوق وسعادة وحرية.

كاذبة



ذهبت إلى عملي اليوم - على غير عادتي - سعيدا منشرح القلب.. فأخيرا شعرت بأنني حققت شيئا لطالما تمنيته كثيرا.. وهو الاستقرار.. فقد خطبت أمس الأول نيفين صديقة أختي المقربة.. كيف لم أنتبه لتلك الحسناء من قبل؟ لقد أتت لمنزلنا كثيرا مع أختي لكني لم أعرها أي انتباه من قبل. وأمس حين خرجنا معا لأول مرة أخذت وقتا حتى تمكنت من كسر حاجز الخجل وتحدثنا كثيرا.. إنها حقا من تناسبني.. بهرني عقلها وتفكيرها وطموحها في الحياة.. إنها ليست كما ظننت حسناء فارغة العقل.. ربما عاملتها كذلك لمعاملتي أختي بنفس الأسلوب.. وهي صديقتها.. أمس عرفت مدى خطئي فالفتاة رائعة الحسن طيبة الخلق ومثقفة وتحبني.. صارحتني أمس أنها أحبتني منذ عامين ولطالما كنت محور كلامها مع أختي.. وأنا كالأحمق لا أدري ولا أنتبه للبسمة الخجولة كلما فتحت الباب لها أو الصمت الباسم إذا أكلنا يوما معا في بيتي و..

ندى.. فاجأني ظهورها أمامي حين دخلت مكتبي.. لقد نسيت أمرها تماما.. إنها أول من دق قلبي لها.. أول من عرفت معها معنى أن

تحب وأن تشتاق.. إنها من أرسلت لها رسائل الحب المطولة بعيني دون كلام.. إنها من جعلتني أزهد النساء جميعهن.. إنها من.. رفضتني.

حكايتي معها شديدة الغرابة.. خمسة أعوام ونحن زملاء في العمل.. درجة تفاهمنا فوق الطبيعي.. نكاد نكمل لبعض الكلام.. ندري سلبيات وعيوب بعضنا ونتجاهلها بمودة وتسامح.. نساعد بعضنا بلا أي سؤال أو شك وكأنه أمر طبيعي.. ونقدر لبعض لحظات الضعف.. شعرت أنها نصفي الآخر فعينانا تبادلتا كثيرا حوارا طويلا في العشق والغرام رغما عنا.. حتى أتى الوقت الذي وجدته الأنسب لمصارحتها فقلت لها عن حبي ومشاعري تجاهها وأنها من أرغب أن أكمل حياتي معها.

اعتذرت لي يومها بأن مشاعرها اختلطت عليها وتخبطت فيها.. وأنها تخشى أن تسير بدرب وهي غير متأكدة من نهايته خاصة معي، فهي لا تريد أن تخسرني وأن صداقتنا وتفاهمنا في العمل لأقوى وأدوم وأثبت، وكان هذا ردها النهائي.. لم أفتح هذا الموضوع مجددا معها.. تركتها لتعيد تفكيرها ومرت أيام وأنا أعمل معها وأتكلم معها وأوضحك معها كالمعتاد، لكن قلبي يؤلمني بداخلي وأنا عنه صامت، حتى أتى موضوع خطوبتي تلك بشكل مفاجئ، ويبدو أن رغبتي في الاستقرار وقلبي الوحيد الذي يبحث عن أحضان أنثوية تحتويه دفعاني دفعا نحو قلب

حنون محب يطير حولي من سنين دون أن أشعر به، فكانت خطوبتي تلك فرحة قد افتقدتها كثيرا.. وفي غمرة فرحتي نسيت ندى التي قابلتني اليوم بابتسامة واسعة وعينين تجتهدان لتخفي حزنها قائلة: "مبروك.. كم سعدت لك يا صديقي".

فابتسمت وشكرتها وقلت لها بعيني: "كم أنت كاذبة".


لو كنا معًا

عدت للمنـزل مـن العمـل منهكـا وحـين دخلـت وجـدت زوجـتي تركض تجاهي بابتسامة واسعة نادرا ما أكـون أنـا سببا لهـا ثـم قبلـتني قبلات سريعة على كل وجهي ولم يوقفها سـوى نظرتـي البلـهاء وملامـح وجهي التي وشت بالدهشة والمفاجأة.

قالت: "أشكرك يا حبيبي على تلك الهدية الرائعة.. حقا لا يوجد أروع منها.. لطالما تمنيت أن أذهب هناك.. كيف عرفت ذلك؟ يبدو أنك يا ماكر تسأل أصدقائي عني دون علمي.. أشكرك يا حبيبي".

ثم تركتني وركضت لغرفة النـوم.. ظللـت في مكـاني أرمـق الفـراغ بعينين خاويتين وعقل ممتلئ بعلامات الاستفهام لمدة دقائق ولم يخرجني من تلـك الحالـة سـوى صـوتها قائلـة: "بمناسـبة تلـك الهديـة الرائعـة سنتغدى بالخارج في مطعم فخـم علـى حـسابي.. هيـا يـا حبـيبي حتـى لا نتأخر على موعد الحفل".

حفل؟! تحركت بسرعة لغرفة النوم لأسألها عما تتحدث لكن قبل أن أصل لها استوقفني شيء ما موضوع على طاولة الطعام.. إنه ظرف أسود

اللون لم أرَ مثله من قبل ويوجد بجانبه شريط ستان أحمر بحافتين مذهبتين ويبدو أنه كان يحيط بالظرف.. أخذت الظرف وفتحته ففاجأتني رائحة عطرية قوية ورائعة فاحت من داخله ووجدت به ورقتين سميكتين فأخرجتهما معا.. كانتا متقابلتين ومتشابهتين فتركت إحداهما وارتديت نظارتي لأتمكن من قراءة محتوى الأخرى.. فوجدتها دعوة لحفل موسيقى بدار الأوبرا بتاريخ اليوم الساعة التاسعة.. نظرت للأخرى فوجدتها بنفس المحتوى. أخذت الظرف وظللت أبحث فيه أو عليه عن أي تفاصيل توضح من المرسل أو الجهة البريدية التي قامت بنقله فلم أجد شيئا.. هذا ظرف معد ليتم تسليمه يدويا.

شرعت للغرفة لأسأل زوجتي عمن أرسله.. لكن حين وجدتها تتزين أمام المرآة مبتسمة خشيت أن أبدد سعادتها تلك فمنذ زواجنا لم أبال بأن أخرج معها في نزهة لأي مكان معللا ذلك بانشغالي في العمل وأنها تدري أحوالي من قبل أن أتزوجها.. فقبلت بالأمر لكن قبل أن أرتدي ملابس فاخرة تناسب هذا المكان اتصلت بدار الأوبرا لأتأكد من وجود الحفل وموعده.. خشيت أن يكون الأمر خدعة سخيفة.

وليته كان خدعة.. فالحفل سيقام فعلا في الموعد المحدد بالدعوة.. سألته عمن سيغني في الحفل.. فقال المجيب في تهكم إنه حفل موسيقي

وليس غنائيا وسألني عن أي استفسار آخر فشكرته وفضلت أن أنهي تلك المهاتفة التليفونية قبل أن يسبني هذا الشخص لجهلي ولذوقي الضحل.

ارتديت أحد أفضل ملابسي الرسمية ووضعت عطري المفضل الثمين الذي أخصصه للمناسبات المهمة والذي لن أهدره أبدا وأنا ذاهب لعملي.

* * *

ذهبنا لمطعم فخم وأكلنا وجبة شهية كبيرة ودفعت أنا ثمنها على الرغم من إلحاح زوجتي مما رفعني في عينيها أكثر وأنزلني في نظر نفسي أكثر.. فأنا لم أدفع ثمن تلك الوجبة الفخمة سوى لأن حق زوجتي علي أن أنزهها وأنا أهملت ذلك كما أنني لا أستحق هذا كله، فلست أنا مرسل الدعوتين.. حقا لا أدري كيف استلمتهما هي أساسا؟ أكان حارس العقار من أعطاها إياهما باسمي.. أو وجدتهما هي تحت الباب.. لا أدري ولا يمكنني أن أسألها وأكسر فرحتها تلك التي أفقدتها إياها طويلا في حياتي الروتينية المملة وإهمالي الجزئي لها.

وصلنا إلى دار الأوبرا ودخلنا بالدعوتين وكان مقعدانا في الصف الأول في القاعة وكان هذا مدهشا بشدة.. فمن الذي سيرسل لنا دعوتين بالصف الأول؟!

بدأت الموسيقى خافتة لكن المسرح كان مظلما ثم بدأت الموسيقى تعلو بشكل تدريجي ومصاحب لها زيادة تدريجية للضوء من الخفوت للسطوع حتى أنير المسرح كله وظهر الموسيقيون جميعا جالسين على مقاعدهم وحاملين أو حاضنين أو مجاورين لآلاتهم الموسيقية..

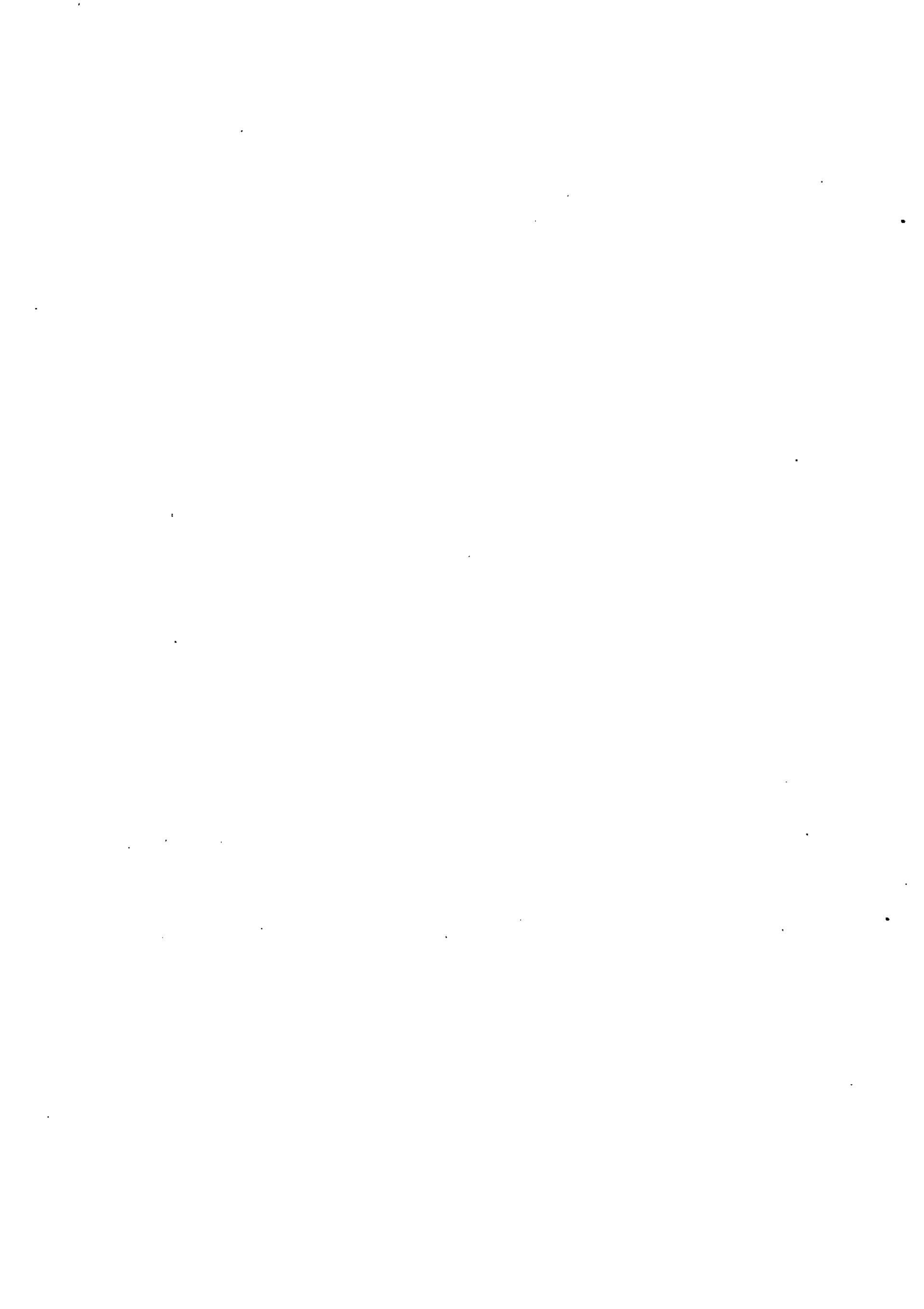
يبدو أن برنامج هذا الحفل هو عزف عدة مقطوعات متنوعة بين ما هو قديم وما هو حديث.. أنا أحب الموسيقى وأسمعها ولكنني لست من عشاقها ولست ممن يحضر حفلات موسيقية لذا فطبيعي أن أشعر بالملل. استغللت أن الإضاءة خافتة على المقاعد فبدأت أتلفت حولي بشكل هادئ مختلس لأتأمل الجالسين.. معظمهم مندمجون مع الموسيقى بشكل هادئ ورقيق.. كما أن هناك أيضا رجالا ناموا أو استبد بهم الملل وظهر على وجوههم وطريقة جلوسهم على المقاعد فأنهيت جولة المشاهدة تلك مبتسما ظاهريا ومقهقها داخليا على هؤلاء الرجال الذين اضطروا إلى أن يأتوا مثلي لإرضاء نسائهم. ألم ينته الحفل بعد؟! ماذا سأفعل الآن؟ لا يمكن أن أقرأ شيئا في هذه العتمة الجزئية.. كما لا يمكن أن أتصل بأحد أيضا.. لذا أخرجت نظارتي لأشاهد العازفين أنفسهم بدلا من تلك الصورة الضبابية الموسيقية التي أراها.. كم هو رائع اختراع النظارة تلك.. هناك فرق كبير حقا.

تجاهلت المايسترو فأنا لا أرى سوى مؤخرة رأسه.. فنظرت

للعازفين وبدأت أتأملهم.. معظمهم شباب في نهاية العشرينات.. ستة فتيان وثلاث فتيات متجاورات ولكن.. أليست تلك.. أأأ.. نعم هي.. إنها محبوبتي التي تزوجت أنا وتركتها في حزنها تنعى أعواما أهدرتها معي.. لكنها صارت أجمل مما تركتها منذ 3 أعوام.. وأكثر ثقة وثباتا عما كانت من قبل.. نظرت لزوجتي فوجدتها في حالة استماع واستمتاع بالموسيقى.. فنظرت لحبيبتي السابقة مجددا بتركيز أكبر.. كانت مغمضة العينين وتعزف في سلاسة وهدوء كأنها هي وآلاتها الموسيقية قد اتحدتا في كيان واحد متناسق لتنتجا هذا العزف الناعم الراقي الجميل.. وكانت من وقت لآخر تتهادى مع الموسيقى بشكل خفيف يمينا ويسارا ثم تعود لسكونها مجددا.. كل هذا وهي مغمضة العينين.. مر نصف الساعة وأنا أتأملها عن بعد والموسيقى تنساب من حولنا.. ناسيا زوجتي والناس من حولي والعازفين من حولها.. ومن وقت لآخر تومض في ذهني ذكرى لطيفة لنا ونحن معا وكأن ما كان سيئا من ذكرياتنا محرم عليه أن يذكر الآن في هذا الجو الرائع.. وفي خضم كل تلك الرومانسية والروعة فتحت هي عينيها بشكل مفاجئ بنظرة مصوبة علي وكأنها كانت تدرى أني أجلس هنا وأني أرمقها.. هي لا غيرها.. نظرة جديدة عليها وعلي وغير معتادة.. نظرة باردة قاسية ومتشفية.. نظرة تقول انظر حالك وحالي بعدما تركتني وأينا أفضل؟ نظرة تقسم أنها هي من بعثت بالدعوات لنا.



مقعد هزاز



كانت عيناه محدقتين على شاشة الحاسوب يقرأ بعض العناوين والمواضيع الإخبارية من باب الاطلاع على الأحداث المحيطة والعالمية وقد انقضى على جلوسه ذاك ساعتان.

أهله في البيت نائمون وهو جالس وحده في ظلام الغرفة الذي لا يكسره سوى الضوء المنبعث من الشاشة.

وفي هذا الصمت سمع صوت حركة الكرسي الهزاز الحديدي حين يتمايل للأمام والخلف على الأرض العارية من أي غطاء..

هو يكره هذا الصوت ولا يجلس على الكرسي كثيرا لهذا السبب.. لكن أن يتحرك الكرسي وحده كان هذا غير متوقع.

نظر للنافذة والشرفة فوجد أبوابهما مغلقة.. أي لا مجال لهواء ليحرك الكرسي.. هذا غير أن الكرسي من الحديد ويحتاج لدفع كي يتحرك.

قام الفتى وجلس على الأرض أمام الكرسي ثم نظر إليه فوجد ضوء الشاشة القليل قد صنع ظلالا للكرسي.

فابتسم قائلا: لا أخشاك أيها المقعد.. ما أنت إلا حديد.. لكني أتساءل: من الجالس عليك الآن؟ أهو طيف حبيبتي المحال الوصول إليها قد أتى للاطمئنان عليَّ وليصبرني.. أم روح جدي الذي أحبني ومات قبل أن أتمكن من أن أقصده لأحكي مشاكلي؟ أهو أتى الآن ليسمعني.. أم روح هائمة تعبت من التحليق فجلست قليلا عليك لتستريح؟

أدري أنك أبكم.. تسمعني ولن تجيبني.. والجالس عليك لا أدري أما زال موجودا يسمعني أم رحل.. فقد تعبت من الجلوس وحدي.. وتعبت من صمتي. أهلي يكفيهم ضغط أعمالهم.. لا يمكنني أن أزيدهم بآلامي وشكواي. أيها الكرسي قل لجالسك أن يكرر الزيارة ولا يحرمني من أنسه مهما تكن شخصيته.. ولن أطيل عليه الحكي ولن أطالب بسماع رأيه.. يكفيني أن يسمعني ويرحل.

ثم قام الفتى وابتسم للمقعد وحركه قليلا كأنه يداعب جالسه ثم عاد للجلوس على حاسبه الآلي.

نحس

أخجلتني الكلمات التي سمعتها بغير قصد حين دخلت منزل خطيبتي هدى.. كنت جالسا أنتظرها كعادتي.. لكن صادف في هذا اليوم أن خالتها عندهم وتجلس مع أمها في الشرفة المغلق بابها ويتحدثان عني وعن خطيبتي.. لكن صوتهما كان أعلى من أن يحجبه الباب المغلق.

الخالة: ألم يقرر أكرم وهدى أن يتزوجا بعد؟

الأم: بل قررا لكن أصدقك القول إن الأمر لا يرغب أن يتم.

الخالة: كيف ذلك؟ أهناك أحد معترض؟

الأم: مطلقا.. فالكل سعيد لهم وبهم لكن لا أدري كلما شرعنا في أمر يأتي ما يعطله.

الخالة: وكيف ذلك أحكي لي.

الأم: في البداية بعد أن اتفقنا على كل الأمور وحددنا موعد الزفاف.. مرض أكرم مرضا ألزمه الفراش أكثر من أسبوعين.

الخالة: يا ألله.

الأم: ظللنا بجانبه حتى شفي ثم حين قررنا موعدا آخر ألزمه

عمله بالسفر لفترة.

الخالة: ما هذا الحظ العاثر؟

الأم: أنت لم تعرفي الباقي بعد.

الخالة: قولي لي يا حبيبتي.

الأم: قررنا موعدا آخر لكن بعد أن اشترينا فستان الزفاف.. في يوم ما جلست الطفلة منار بنت الجيران معنا وفي أثناء تحضير الطعام.. دخلت غرفة هدى..أجهزت على كل ملابسها التي تركتها على الفراش بالمقص.

الخالة: ولم تنقذوا الفستان من يديها؟

لم أسمع رد حماتي على هذا السؤال فخمنت أنها أجابت بالإيماء نفيا ولعنت حظي الذي أتى بي في هذا اليوم وفي تلك الساعة.. وأيضا لم أتمكن من أن أعلو بصوتي للنداء على هدى حتى لا أنبههم لوجودي فأسبب جوا من الإحراج والارتباك فتسمرت في مكاني صامتا ولسوء حظي بالغت هدى في وقت تحضرها للنزول وأكملت المرأتان حديثيهما.

* * *

الأم: وهناك مرة اتفقنا على الموعد لكن قبل أن يرسلا الدعوات

اتصل بهم صاحب قاعة الأفراح واعتذر لهما عن إلغاء حجزهما لتعرض القاعة للحريق وطالبهما بأن يأتيا لأخذ مالهما.

الخالة: حريق.. هذا مفزع.

الأم: لا أدري ماذا أفعل.. هدى تزداد حزنا يوما بعد يوم.. لقد كرهت حتى الطعام نفسه.

شعرت بالحزن والذنب لهذا الشعور الذي تشعر به صغيرتي الحبيبة ولم أنتبه له أنا.. أأحمق أنا لهذا الحد؟ ربما لإصراري وعنادي في الأمر دون انتباه لرد فعلها هي.. على أن أتحدث معها اليوم في هذا لكن برفق حتى لا أجرح شعورها فهي رقيقة وجميلة.

الخالة: ألا تعتقدين أن هذه الزيجة "نحس".

أخذتني الكلمة من شرودي وصعقتني.. انتظرت في تلهف رد حماتي.

الأم: لا أدري.

ردها أحزنني لكن عذرتها لتلك الظروف المؤسفة التي تحدث.

الخالة: حسنا! ألا تظنين أن المشكلة في أكرم نفسه وأنه هو "النحس".

صدمني الكلام أكثر وبدأت أكوّن صورة عن عقلية الخالة التي لم يسبق لي الحوار معها من قبل ثم تأهبت لسماع رد حماتي عليها.

الأم: لا أظن! أكرم فتى صالح طيب الأخلاق وذو أصل كريم.. لا لا أظن هذا أبدا.

الخالة: إذًا تلك الزيجة لا ترغب أن تتم فلا داعي لها وانتظري عريسا آخر جيدا لابنتك.

الأم: أبدًا أكرم مثل بهاء ابني.. لن أفعل ما يجرح مشاعره مثل ذلك حتى لا يحدث لابني أيضا.

* * *

وفي تلك اللحظة ابتسمت وقمت في هدوء وخرجت من الشقة ثم قمت بدق الباب بشدة وبشكل مزعج ومنبه لكل من في المنزل.. ففتحت لي هدى مفزوعة وكانت أمها وخالتها خرجا من الشرفة لمعرفة سبب هذا الإزعاج.. وقبل أن تقول هدى أي شيء أو تسألني لم خرجت، قلت لها هامسا: "أنهي ما تفعلينه سريعا وسأحكي لك كل شيء حين ننزل"، فذهبت لغرفتها في دهشة وقامت أمها وخالتها بالترحيب والجلوس معي ثم تحدثنا في أمور متفرقة لوقت قصير حتى خرجت هدى من غرفتها،

وقالت إنها مستعدة للنزول.. جلسنا معا بمكان هادئ فحكيت لها ما حدث فابتسمت محرجة مما قالته خالتها، ولكني أظهرت لها تفهمي وقلت لها إني سأتزوجها ولو وقف العالم كله ضدي.. تسامرنا وتحدثنا كثيرا عما سنفعله وكنا متفقين متفاهمين تماما.

وفي نهاية اليوم أوصلتها لمنزلها وحين عدت لمنزلي دخلت في هدوء كالعادة وصادف وقتها جلوس والدي ووالدتي معا في الشرفة يتناقشان أمر زواجي الذي يبدو مستحيلا ويبدو أنني أتيت في نصف المناقشة.

الأب: أنا لا أرغب في أن يرحل أكرم عنا لكن أرغب في أن أشعر بفرحة قلبه بتكوين أسرة.

الأم: لا يبدو أن ذلك سيحدث مع هدى.

الأب: لماذا؟

الأم: يبدو أن هدى "نحس".

وبمجرد سماع ذلك لم أتمالك نفسي وضحكت بعلو صوتي حتى دمعت عيناي وخرج أبواي بسرعة من الشرفة على صوت ضحكي مستغربين وسألاني عما بي، لكن الضحك منعني من الحديث.. وبعد

دقائق حين تمكنت من التوقف عن الضحك سألني أبي مجددا عما بي

فأجبته:

لقد اكتشفت أني أنسب واحد لهدى.. وهي الأنسب لي..

ومخلوقان لبعضنا.. فأنا وهدى "نحس".



وفاة الأستاذ جمال



ونحن نتناول طعام العشاء مساء تحدث أبي وأمي عن الأستاذ جمال جارنا مدرس اللغة العربية وقالا إنه تعب وتم نقله للمستشفى وأزمعا على الذهاب إليه لزيارته. فسألت أمي عن سر تعبه فقد كان معافى في آخر مرة قد رأيته فيها، فقالت إنه كما حكوا قد تعب منذ أسبوعين وأمره الدكتور بالراحة ولكنه قرر أن تكون راحته بعد انتهاء موسم الامتحانات، ويا سخرية القدر قد كانت الراحة مقدرة له فعلا في هذا الوقت، لكن بشكل نهائي.

في اليوم التالي وأنا عائدة من العمل قابلت أحد الشباب.. جارنا في المبنى.. وقال لي إن الأستاذ جمال توفي. وحقا كان الخبر مؤلما.. فربما لن أشعر أنا بموته لعدم رؤيتنا لبعض كثيرا ولكنه كان رجلا صالحا ومن أكثر الرجال احتراما وتهذيبا.. كما كان عمره أقل من الثلاثين، شعرت بحزن داخلي لكن كان أقل من أن يجعلني أنهار.. ثم بدأت باسترجاع ذكرياتي مع هذا الرجل فوجدت أن الذكريات المتميزة كانت يوم وصوله لشقته هو وزوجته كعروسين، ويوم أن ذهبت إليه ليشرح لي أمرا في اللغة العربية ويوم أن ذهبت إليه لتقييم أشعاري وينصحني بما واجب

علي فعله لتنمية موهبتي، ويوم أن قابلته في الشارع وهو ذاهب للصلاة، ويوم أن دعوت ابنته لعيد ميلاد أختي، وأخيرا يوم أن قابلته في الشارع مع ابنتيه ووقفت لأداعب الطفلتين.

حين صعدت وجدت أمي وأبي يقفان على باب منزله، وهناك أناس كثيرون بالداخل وأغلبهم نسوة ثم سمعت صوت امرأة تصرخ وتولول واعتقدت أنها زوجته (التي لم أسمع لها من قبل صوتا عاليا) أو والدته.

أمرني والداي بالصعود وبصدق صوت الصراخ بلل عينيّ بالدموع ثم بعد قليل صعد والدي ثم حدثت أمور كثيرة ولكني لا أذكرها بالضبط.. لكن ما أذكره أن أمي حين صعدت سألتها عن حالة الزوجة، فقالت إنها متماسكة على عكس والدتها التي صرخت وولولت.. فقال لي أبي كأنها تبكي ابنها لا زوج بنتها، ثم سألتها عن الفتاتين، فقالت إنهما مع أحد الجيران.

ومر وقت.. ثم لا أذكر كيف وصلت الفتاتان لدينا.. كانتا آيتين في الجمال مثل أمهما وقد كنت أذكر الكبرى منهما لكن الصغرى لا أعرفها جيدا. وجدتها في الثانية والنصف من عمرها وشديدة الخجل، داعبتهما قليلا ثم تركتهما لأختي التي اندمجا معها أكثر، حيث إنها على علاقة وثيقة بالفتاة الكبرى لأنهما كانتا معا في دار تحفيظ القرآن.

لاحظت أن عيني أبي دمعتا لرؤية زهرتين بديعتين كهاتين وقد توفي والدهما.. بعد قليل أتت إلينا خالتهما وقد كانت شابة في أوائل العشرينات تدرس بالجامعة وشديدة الشبه بأختها لكن أطول وأنحف منها.

تذكرت أني قد رأيتها مرات متباعدة لكنها لم ترني بالمنزل من قبل حيث الشعر الأشعث مع بنطال البيجامة التي خلعت قميصها وجلست بفانلة بلا أكمام. ثم لاحظت كثرة نظراتها إلي ولم أتمكن من تحديد نوع تلك النظرات فخجلت وارتديت باقي البيجامة وجلست معها هي وأمي وصديقة أمي وكان الحوار عن الأستاذ جمال، فقالت إنه حين ذهب للدكتور من أسبوعين لتعب مفاجئ طلب الدكتور عدة تحليلات وأشعة ثم أخبره أنه قد يصاب بجلطة في المخ وعليه بالراحة.. ولكنه نزل إلى العمل وأجل تلك الراحة لبعد الامتحانات، وأمس الأول كان يساعد زوجته في تنظيف الحائط ثم طلب منها أن تسمع له الجزء الأخير من القرآن فوافقت، لكن قالت له عليه بالاستحمام من هذا الصابون ثم ستقوم به بعد ذلك، وقد كانا في أثناء العمل يضحكان معا.. وحين ذهب ليأخذ ملابسه التي سيرتديها بعد الاستحمام شعر بالأرض تتهادى من تحت قدميه-فناداها، ثم بعد ذلك ذهبا للمستشفى، تذكرت وقتها أن أبي قال إن الأستاذ جمال كان يقف مع أحد الجيران صباح يوم انتقاله للمستشفى

ليتفقا على عمل عيد ميلاد لابنته الكبرى.

عادت خالة الفتاتين لتقول إن أختها كانت تعرف خطورة حالته وهو في المستشفى وقد ارتضت ألا يتمكن من الكلام أو الحركة لكن يعود معها للمنزل ويكون بين فتياته ولتعمل هي.. ثم أضافت أن أختها ما زالت في الـ26 من عمرها وصغيرة على كل هذا الحزن.

صمتنا لحظات ثم بدأت أمي باسترجاع ذكرياته معنا حتى وصلت لنقطة أشعاري، فقالت الخالة إنه قرأها عليها وقتها وكان يمدح فيّ وفي أخلاقي بل وكان يسمي مدوناته باسمي.. ثم قالت إن والدته قد توفيت العام الماضي وإنه سيدفن في الغد بقريته.. كنا نظن الفتاتين لا تعلمان شيئا عن وفاة أبيهما لكن فاجأتني الكبيرة بأنها تعلم أن أمها ذاهبة لدفن أبيها، وحين صارحت أمي بذلك وقالت لخالة الفتاة، فردت الأخيرة أن الصغيرة لا تدرك معنى الموت ولا تعلم أنها لن ترى أباها مرة أخرى. بعد رحيلها شعرت بالحزن لكن ما أثر فيَّ بعنف هو أن يوم وفاة الأستاذ جمال هو يوم ميلاد ابنته رنا.

الفهرس

* * *



وفـى هذا الصمت .. سمع صـوت حركـة الكرسى الهزاز الحديدى .. حين يتمايل للامام والخلف .. على الارض العارية من أى غطاء .

هـو يكره هـذا الصـوت ولا يجلس على الكرسى كثيرا لهذا السبب .. ولكـن ان يتحـرك الكرسـى وحده كان هذا غير متوقع.....

شروق إلهامي

تصميم الغلاف : أسامة علام

